13 me Année No. 630
Lundi - 30 - 7 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٣٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢١ شعبان سنة ١٣٦٤ — ٣٠ يوليو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

أحمد محرم (*)

لصاحب المعالى إبراهيم دسوقى أباظة باشا

أيها السادة الأماثل :

حياكم الله ، فلقد اجتمعتم فى هذا الحفل الحاشد لتكريم سيرة راحل خالد كنت أحب أن أشارككم فى الاحتفاء بها ، فأحضر بنفسى لأرد بعض الصنيع الأدبى الذى علىّ لفقيد الشعر العربى المغفور له الأستاذ أحمد محرم ؛ فكم له من أياد خالدات على مصر والمصريين ، سوف يذكرها له تاريخ الأدب الحديث . فقد أضاف الشاعر الكبير ثروة ضخمة إلى تراثنا الأدبى كنا فى أمس الحاجة إليها منذ أن ألقى سامى باشا البارودى بأعنة القيادة إلى خلفائه الفحول : شوقى وحافظ ومحرم ومطران والكاشف . رحم الله من رحلوا ، ومتع الباقين بالصحة والعافية

كان شاعرنا الكبير أحمد محرم بين هؤلاء الأعلام علماً بارزاً ساهم بأوفى نصيب فى بناء صرح الشعر الحديث ، فتجاوبت أرجاء وادى النيل بأصداء قصائده الجياد قرابة نصف قرن ، وشعره يعتبر سجلا زاخراً بشتى ألوان السياسة والاجتماع ، لم يفرط فى صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها من شئون القومية الصادقة والوطنية الكريمة العاملة

وشىء واحد أريد أن أقرره لشاعرنا الكبير ، كثيراً ما دار بخلدى ، ولعله من خصائص شاعريته — رحمه الله — وهو بهذا الشىء يقف وحده بين سائر أئمة الشعر العربى الحديث ، ذلك أنه شاعر الإسلام غير منازع فى عصرنا هذا

فلقد توفر منذ حداثته على دراسة آثار الإسلام من علوم ومعارف ، ولم يدرج فى بيئة دراسية توجهه وتبصره بمناحى الدراسة والتحصيل

... فلم نسمع أنه درس فى الأزهر أو أى معهد آخر ، بل عكف وحده على المنابع الثرة للغة العربية من كلام الله وكلام العرب ، يهديه وحى الفطرة النقية ، وتدفعه نوازع المواهب الأصيلة ، فشب نبتاً كريماً رويه هذا الورد المورود حتى أينع وأخرج شطأه واستوى على سوقه

وكان لكل ذلك أعمق أثر اضطرب فى نفس شاعرنا الكبير مما حداه فى أخريات أيامه إلى نظم ملحمته الكبرى (الإلياذة الإسلامية) التى عارض بها (إلياذة هوميروس) ، وهو بهذا العمل المجيد الذى جاء نتيجة موفقة لنشاط المواهب التى استوعبت أمجاد الإسلام ومفاخره وأزهى أيامه وعهوده ...

(*) ألقيت فى الاحتفال الذى أقيم بدار سينما بلدية دمنهور لتأبين الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محرم يوم الثلاثاء ٢٤-٧-١٩٤٥

هو بهذا العمل يقف وحده فى الطليعة بين قادة الشعر الحديث .

وليس هذا المجهود على ضخامته وفخامته لشاعرنا فحسب ، بل أذكر أننى قرأت له فى إحدى المجلات الأدبية الكبيرة ثلاث قصائد فى موضوع واحد وغرض واحد متباينة فى سمو معانيها ، وصفاء ألفاظها ، ودقة أساليبها ، فلا تكرار فى المعانى ، ولا تشابه فى الأساليب والألفاظ ... تلك قوة منقطعة النظير ، لا تواتى إلا من هو فى مواهب شاعرنا الممتازة ، وعبقريته النادرة ، التى تعاونت فى تكوينها أسباب الثقافة الإسلامية ، وكان ذلك الموضوع الذى أحدثكم عنه هو (غزوة بدر الكبرى)

تلك ناحية باقية تكفى وحدها لتخليد ذكره بين عظماء الفكر الحديث ، فهو الشاعر الإسلامى العربى فى كل ما ينتجه ذهنه الخصب وخياله الواسع

ديباجة مشرقة ، وأداء محكم ، وأسلوب أنيق ، كل ذلك يصدر عن طبع أصيل فى نفس شاعرة تستلهم أصدق مصادر الشعر العربى ، وكان يتجلى ذلك حينما تستثار شاعريته الفياضة فى موضوع يتصل بمذخوره العربى الخالص

فمشاهد الحركة الإسلامية الأولى ومجالى طبيعتها الشاعرة فى عصورها الناصعة تسيل لها نفسه معانى وأخيلة فى كثير من الدقة والجمال . تلكم الصحراء ، يزورها الشاعر مع رفقة من أصدقائه وأحبائه ، فتجرى على لسانه قصيدته البارعة الرائعة التى حلت بها جريدة الأهرام جانباً كبيراً من صفحتها الأولى استهلها رحمه الله بقوله :

هى الدنيا التى تسع الجبالا   فسر إن شئت أو ألق الرحالا
هى الدنيا التى وسعت خيالى   مررت بها فظنتنى خيالا

هذا ، ولقد مر شاعرنا الكبير يعبر دنياه كما يقول كالخيال الخاطف ، لم يخلف من آثاره العديدة شيئاً مذكوراً ، وأرجو أن أوفق فى رجائى زميلى صاحب المعالى وزير المعارف ليصدر أمره بطبع أثره الفنى القيم الماثل فى (الإلياذة الإسلامية)

وبذلك تكون الحكومة قد أدت بعض الحق للشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محرم ، عوض الله اللغة العربية عنه خيراً ، وأجزل له بقدر ما أدى إلى وطنه العزيز فى نهضته الفكرية الحديثة إنه سميع مجيب .

إبراهيم دسوقى أباظة

عم يتساءلون ؟

الأستاذ أحمد رمزى

إن الذين رأوا حربين عالميتين ، أطلقوا على الأولى « الحرب العظمى » ، وعلى الثانية « الحرب العالمية » ! يتساءلون اليوم عما يأتى به الغد لهذا البلد الأمين

لقد تبلورت أمانينا عند نهاية الحرب الماضية فى كلمة « الاستقلال التام » ، يخيل إلينا أنها سلّم النجاة ، وتلقينا من قادتنا أن علة بلادنا هى سيطرة الغالب على مرافق الحياة فيها ، وأن العلاج الشافى هو « الاستقلال » !

وها نحن أولاء اليوم — كما بدأنا بالأمس فقط — تغير الإسم ، فأصبح « الأمانى القومية » بدل عنوان « الاستقلال » ، ولكن هناك فارق ، ففى الماضى كنا نصدق ونؤمل وننتظر . كنا ننظر إلى القادة نظرة ملؤها الإجلال . أما اليوم ، فإننا نجر وراءنا ربع قرن من التجارب القاسية ، والأحلام الضائعة ، والآمال التى لم تتحقق . فهل لدى هذا المجموع اليوم من القوى الروحية الواقعة ما يجعله يترقب طلوع شمس الحقيقة ، كما تطلع إليها الجيل السابق وعمل للوصول إليها ؟

من واجب الجيل الناشئ والمخضرمين أن يوجهوا هذا السؤال إلى أنفسهم أولا ، وأن يعلموا يقيناً أنه قد يسهل تحريك الشعور الوطنى أو القومى أو العاطفى ، كما حدث عام ١٩١٩ ، ولكن لا نريد أن تتكرر أخطاء ٢٥ عاماً مرة أخرى ، فما العمل ؟

يجب أن نعرف مقدار ما لدينا من عوامل البناء قبل أن نحرك القوى الدافعة ، لكيلا تعرض مشروعاتنا دائماً للفشل والتراجع كما حدث فى الماضى ، وكما يحدث فى الوقت الحاضر

ولنا أن نتساءل : إلى أى مدى يمكن أن تسير بنا القوى الروحية والمقاييس العليا والسياسة العاطفية ؟ ولماذا تتبخر هذه القيم وتفنى لدى الصدمة الأولى ؟

إذا عدنا إلى أنفسنا وجدنا أننا نشأنا على النمط الذى وجدنا عليه آباءنا من قبل ، فحملنا أخطاءهم ومزاياهم ، وجاء التعليم

الحديث الأوربى ، فتعلمنا على القدر الذى سمح لنا به ، كما صيغت نفوسنا فى القالب الذى أراد واضعو هذا التثقيف أن نصاغ عليه ، فما ذا كانت النتيجة ؟

جاءت أذواقنا مختلفة ، وثقافتنا واهية ، ونظرتنا للأشياء ناقصة ، وهذه مجتمعة علة هذا التبلبل والتفكك القائم اليوم

واكتفينا بالسير على قدر ، والنوم على الأمجاد الماضية ، وكانت الوعود غير المعقولة تغذينا ، والعبارات المسجعة تشبعنا ، وطالما خدرتنا الألفاظ والمقالات المنمقة ، فلهونا بالمظهر عن الجوهر وعما ينفع الناس ويمكث فى الأرض ؟

وأخوف شىء على مستقبل هذه الأمة أن تنشئ الجيل الجديد على هذا النسق ، فهل لدينا من الشجاعة والإخلاص الصحيح ما يدفعنا إلى إنقاذه وحمايته من الأقدار التى لم تنصفنا ؟

سؤال تصعب الإجابة عليه ، ولكن فلنجتهد أن نواجه أكبر أزمة مرت بالبلاد منذ قرون طويلة ، ذلك لأننا نعيش فى عالم يتطور بسرعة غريبة لم نعهدها من قبل ، وسيصيبنا منه الكثير من الخير والشر معاً

أضف إلى ذلك أن القيم الروحية والقيود الخلقية التى عشنا أجيالا تحت أكنافها ، قد أخذت تنهار ولم تترك ما يحل مكانها ، ورأينا فى خمس سنوات الحرب ، وهى تعدل خمسين عاماً تقدماً مادياً يكاد يكون خاطفاً ، وتسابقا إلى إحراز الغنى والثروة فى أى طريق ، ويصحب كل هذا تدهور أخلاق ، وفقدان للثقة ، وسخرية من كل من يؤمن بالصالح العام أو يدعو إليه

وأمامنا جيل ناشئ يرجو لأمته حياة أرقى وأعلى وأسعد مما نعيش عليه الآن ، وهو جيل سيحاسب ويناقش ، وبما أنه إنسانى ، فمن الطبيعى أن يتعجل الخطوات ، بل يخلق الظروف لاستعجالها ، وسيتوهم فى نفسه القوة والقدرة ، وسيكافح إلى مدنية جديدة أقرب إلى أحلامه وأكثر طلاوة ونفعاً مما ألفناه ، وسيقول : إننى أريد أن أحيا حياة أقرب إلى حياة البشر ، فما ذا أعددنا لهذا اليوم ؟

أنا لست بمتشائم ، ولن أحاول أن أقلل من طاقة مصر ، أو من قيمة القوى الإنشائية والخلقية ، ولكنى أخشى الأخطار التى تواجه هذا الجيل ، وأولها الغرور الذى يتملك الأفراد والجماعات على السواء ، وقد أصبح علة من علل المجتمعات الشرقية الناشئة .

إننا ندعوه أن يتعرف على نفسه ، فإذا عرف ما ينقصه أسرع إلى استكماله ، وإذا اكتشف نواحى القوة الكامنة التى لديه أخذ فى تقويتها . ثم ليعرف تماماً أن مقدرات هذا الوطن ليست ملكا له وحده ، بل هناك من الآباء والأعمام والأخوال والأخوة من لهم الحق معه ، وهناك قوى أخرى غير ظاهرة لها وزنها .

وليعلم أيضاً أن المسائل السياسية إذا حلت على حسب رغباته فإنها لا تكفى لإسعاد الأمة ، بل إن العمل بعد تصفيتها أخصب فى المطالبة بها : لأن قدرة هذه البلاد محدودة ، وقوة الأفراد الإنشائية ومقدرتهم على التنظيم محدودة ، فلا يمكن أن نبالغ فيما يمكن عمله ، وما يمكن أن نصل إليه

احمد رمزى

طلائع المجـــد الطريف

في أفريقيا الشمالية

ماذا فعلنا من أجلهم ؟

للأستاذ توفيق محمد الشاوى

دعك من حديث ماضينا المجيد الخالد ، فإن التاريخ الأمين لن ينسى هذه القرون الطويلة التي حملنا فيها لواء الحضارة ، ورفعنا راية الإنسانية السامية ، وانتقل معي إلى حديث طريف ،لا نذكره للتاريخ فحسب ، ولكن ليسمع كل عربي يؤمن بقوميته وعروبته ، وكل مسلم ثابت على عقيدته ورسالته ، فينفض عن نفسه غبار الذلة ، ويلحق بركب المجاهدين في سبيل دينهم وقوميتهم ، قبل أن يسجل التاريخ علينا معرة التفريط والعجز .

هذه صورة مجيدة من صور الجهاد العربي ، في شمال أفريقية ، ثغر العروبة وحصنها الغربي ؛ على سفوح جبال الجزائر الشماء ، حركة دائبة ، تجمع فيها أسود العروبة وأبطال الكفاح يرقبون مطلع نجم جديد ، يسمونه نجم أفريقيا الشمالية ، اتخذوه شارة لوحدتهم ، وعلامة لاستقلالهم ؛ وقد علموا أنه لا يشرق إلا مخضباً بالدماء ، ولا يسبح إلا في مجرة من نور التضحية والاستشهاد . من حولهم مدن الجزائر المحبوبة لا يكدر صفوها إلا عبث هؤلاء المستعمرين مستكلبين على شهواتهم ، مغرورين بسلطانهم ، يحتفلون بما يسمونه يوم « النصر » ، النصر الذي لم يستحقوه بجهادهم ، ولم ينالوه بتضحياتهم ، ثم أبوا إلا أن يحتفلوا به أسبوعاً كاملاً أرادت فرنسا أن تبيح لشعبها فيه ما شاءت من طعام وشراب لا تملك منه شيئا ، فبعثت وكلاءها وأذنابها يغتصبون طعام العرب في شمال أفريقية مستعملين في ذلك أساليبهم الاستعمارية الرجعية ؛ كما أنهم عادوا إلى سياستهم العتيقة لمحو القومية العربية ومحاربة عناصرها من دين ولغة وآداب وتقاليد ووحدة ، حتى نفد صبر العرب المجاهدين . وهاهم أولاء يبدأون كفاحهم في يوم « النصر » حاملين سلاحهم العزيز ، كما حمله أسلافهم من قبل أمثال عبد القادر وابن عبد الكريم . وهذا سيلهم ينساب على مراكز المستعمرين ومراتع لهوهم وعبثهم ، فألقوا عليهم درساً جديداً في بطولة العرب وإبائهم ، وشجاعتهم وثباتهم ، وذكروهم بأن حرية العربي أغلى من أن تختلس في غفلة ، وأن دمه العزيز لا يهدر إلا في ميادين القتال فداء الوطن والدين ...

ولا يزال صدى هذه المعارك يرهب الفرنسيين ويقض مضاجعهم، وقد جعلهم يفكرون مرتين قبل أن يقدموا على ما أرادوه من استئناف سياسة الاستعمار الوحشية البالية ، وزاد غيظهم أنهم لم ينالوا من المجاهدين نيلاً يروى حقدهم ، فسلطوا فلولهم — التي فرت من ميدان الكفاح الشريف أمام الألمان — على المدن الآمنة والسكان المسالمين فضربوهم بمدافعهم وطائراتهم وقتلوا آلاف المدنيين الذين لا ذنب لهم ، وانجلت الثورة عن هالة حمراء من دماء العروبة الزكية أطل منها النجم المرتقب ، نجم المجد العربي الطريف ، نجم وحدة أفريقيا الشمالية واستقلالها يرقب من بعيد هلال الوحدة العربية في الشرق ، لعله يستجيب فتجمعها جامعة العروبة وروح الإسلام في سماء العزة والسيادة .

ونحن في الشرق ، ما ذا فعلنا من أجل هذا النجم العزيز وهذا الأمل المشترك ؟ هل مددنا أيدينا إلى هؤلاء العرب المجاهدين في المغرب لنربط جهادنا بجهادهم ، ونشد أزرهم في كفاحهم ؟ ستجيب « الجامعة العربية » عن ذلك ؛ ولكني أسائل المصريين الكرماء الذين ساعدوا منكوبي الإنسانية من كل جنس ولون : من الحبشة إلى اليونان إلى اليوغوسلاف والهولنديين والبلجيكيين بل والروسيين في ستالينجراد ، ألم يعلموا أن هذه الثورة العظيمة في الجزائر قد أسفرت عن منكوبين لا يقلون عن خمسة آلاف وأسرهم ، بين قتيل وجريح وسجين باعتراف الحكومة الفرنسية نفسها ، وإن كانوا لا يقلون عن ثلاثين ألفاً في تقدير المصادر المحايدة ؟ فأين ذهبت النجدة والكرم ، وأين حكومتنا التي تدفع الملايين من الجنيهات لتعمير بلاد أوربا « المحررة » أليس من الأولى أن نفكر في تحرير أوطان العروبة المستعمرة ، أو إنقاذ إخواننا المنكوبين في تلك البلاد الشقيقة ؟

توفيق محمد الشاوى

مدرس بكلية الحقوق — بجامعة فؤاد

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٠ —

* ج ١٧ ص ٣٦٠ : وله (للأبيوَردى) :

ما للجبان ألانَ الله ساحته   ظن الشجاعة مرقاة إلى الأجل
وكم حياة جبتها النفس من تلف   ورب أمن حواه القلب من وجل
فقتَ الثناء فلم أبلغ مداك به   حتى توهمت أن العجز من قِبلى
والى أن يصف الورقاء مادحها   بالطوق أو يمدح الأدماء بالكَحَل (١)

وجاء في الشرح : ألان الله ساحته : أى سهل الله حياته (جبتها) : جمعتها ، وهى فى الأصل (حبتها) تحريف

قلت : (ما للجبان ألان الله جانبه) ذلله . و (كم حياة جنتها النفس من تلف) جنى يجنى . و (بالطوق أو يمدح الأدماء بالكحل) .

* ج ١٤ ص ١٩٩ : ومن تستحسن شعره (يعنى أبا الفتح ابن العميد على بن محمد) :

عودى وماء شبيبتى فى عودى   لا تعمِدى لمقاتل المعمود (٢)
وصليه ما دامت أصائل عيشه   تؤويه فى فىء لها ممدود
ما دام من ليل الصبا فى فاحم   رجْل الذُرا فينان كالعنقود (٣)

(١) الأدماء : السمراء . اللسان : الأدمة في الانسان السمرة . فى التهذيب : السمرة لون الأسمر ، وهو لون يضرب إلى سواد خفى ، وفى صفته (صلى الله عليه وسلم) كان أسمر اللون . السمر ظل القمر والسمرة مأخوذة من هذا .

(٢) العميد والمعمود : الذى بلغ به الحب مبلغاً . وقلب عميد هده العشق وكسره (اللسان) .

(٣) شعر رجل — بفتح الجيم وكسرها وسكونها — بين السبوطة والجعودة ، وفى صفته (صلى الله عليه وسلم) كان شعره رجلا أى لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما (اللسان) .

(فينان) له أفنان كأفنان الشجر ، وقد منع الشاعر صرفه وهو مصروف كما قال سيبويه ، رجل فينان وامرأة فينانة .

قتل الزمان فطارقات جنوده   يبدلنه يققاً بِرُبْد سود

قلت : فى اليتيمة ، ومنها نقل ياقوت :

قتل المشيب فطارقات جنوده   يبدلنه يققاً بسُحْم سود

والخصومة اليوم بين الشاعر وبين المشيب (١) ، وهو إنما يدعو عليه . والمعروف قولهم : شعر أسحم - والأسحم الأسود - لا شعر أربد . والربدة هى نحو الرمدة وهى لون الرماد كما فى الأساس . أو نحو الطُحلة وهى بين الغبرة والبياض بسواد قليل ، وهو طحِل والأربد نحوه كما فى المخصص . قال الحماسى (بكر بن النطاح) :

بيضاء تسحب من قيام فرعها   وتغيب فيه وهو وَحْف أسحم (٢)
فكأنها فيه نهار ساطع   وكأنه ليل عليها مظلم

وقال أبو الطيب :

راعتك رائعة البياض بعارضى   ولو انها الأولى لراع الأسحم (٣)
ولقد رأيت الحادثات فلا أرى   يققاً يميت ولا سواداً يعصم (٤)

وقال الأبيوردى :

لكِ من غليل صبابتى ما أضمر   وأسر من ألم الغرام وأظهر
وتذكرى زمن العذيب يشفنى   والوجد ممنوّ به المتذكر (٥)
إذ لمتى سحماء مد على النقا   أظلالها ورق الشباب الأخضر

وقد ذكرنى بيت ابن العميد وقوله فيه : (بسحم سود) بنكتة مهمة لغوية فى (المخصص) وهى هذه :

فأما قوله تعالى : ومن الجبال جدد (٦) بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ... فلا أعلم لأحد فيه مزيداً على أن سماه تأكيداً ؛ والتأكيد ساذجاً غيرَ مزيد عليه لا يُقر عين الفهِم بالنظر إليه ، بل هو فرع دانى الجناة ، وشرط يدركه طالبه

(١) بين تكرر مع الظاهر كما تكرر مع المضمر ، وقد أخطأ الحريرى وغيره فى تخطئة ذلك .

(٢) شعر ونبات وحف ، وقد وحف — بضم الحاء — وحافة : كثف واسود (الأساس) .

(٣) لا يرعك شيبي فلو كان أول لون الشعر بياضاً ثم اسود لراعك الأسود إذا ظهر ، فلا تراعى للبياض فانه كالسواد (العكبرى) .

(٤) أبيض يقق : شديد البياض .

(٥) منى بكذا : بلى به ، وهو ممنو به (الأساس) .

(٦) ومن الجبال طرائق وهي الجدد وهى الخطط تكون فى الجبال بيض وحمر وسود كالطرق واحدتها جدة (الطبري) .

بالتؤدة والأناة . فنحن نلتمس له طبيعة تمده ، ومعنى يجلو من سدفه فيحده ، إلا أن تدفع داعية الضرورة ، إلى أن يكون بخلاف هذه الصورة . فأما ونحن نجد عن ذلك متندحاً عريضاً ، ومنفسحاً أريضاً ، فإنا لا نفرغه ، من فائدة تمرنه وتسوغه . وهذا التأكيد الذى فى هذه الآية مما يقبل التعليل ، ويسع التأويل ، فلا تقبلنه ساذجاً ، ولا تستعملنه خارجاً ، فأقول : إن فى هذه الآية ثلاثة أنواع من اللون محولة بالاشتقاق على موضوعاتها ، وهو الأبيض والأحمر والأسود ، ولهذه الأنواع الثلاثة فى هذه اللسان العربية أسماء مستعملة قريبة ، وأخر بالإضافة إليها وحشية غريبة ، لا تدور فى اللغة مدارها ، ولا تستمر استمرارها ، ألا ترى أن قولنا أبيض وأحمر وأسود من اللفظ المشهور ، وقد تداولته ألسنة الجمهور ، وقولنا فى الأبيض ناصع ، وفى الأحمر قمدّ ، وفى الأسود غربيب ، من الأفراد التى رفعت عن الابتذال ، وأودعت صواناً فى قلة الاستعمال ، مع أنك لا تجدها فى غالب الأمر إلا تابعة للألفاظ المشهورة ، يقولون أبيض ناصع وأحمر قمد وأسود غربيب ، وإن كان قد يستعمل مفرداً كقوله : (بالحق الذى هو ناصع) و (يعصر منها مُلاحيّ وغربيب) و (بقمد كسائل الجريال) لكننى إنما قلت بالأغلب والأذهب . فلما ذكر تعالى هذين النوعين المشتقين بالإسمين المشهورين الأبيض والأحمر ، وشفعهما باللفظ الغريب الذى لا تكاد تراه إلا تابعاً وهو الغريب قرنه بالإسم المشهور الذى هو الأسود ، وصار بمنزلة صفة .

قلت : وابن جرير الطبرى فى (جامع البيان) وهو تفسيره المشهور يقول : وجعل السواد ههنا صفة للغرابيب .

* ج ١٨ ص ١٧١ : الله المستعانُ ، أساء سمعاً فأساء إجابة .

وفى الحاشية : فى الأصل فأساء جابة . قلت : الأصل صحيح . وهذا من أمثالهم . وقد رواه الصحاح والأساس واللسان والتاج ، وقال الجوهرى : هكذا يتكلم بهذا الحرف ، وقال الزمخشرى : أى إجابة كالطاعة والطاقة . وفى (مجمع الأمثال) فى شرحه : يقال : أجاب إجابة وجابة وجواباً وجيبة ، ومثل الجابة فى موضع الإجابة — الطاعة والطاقة والغارة والعارة[1] .

(١) اللسان : العارية منسوبة إلى العارة ، وهو اسم من الأعارة تقول أعرته الشيء أعيره إعارة وعارة ، قال ابن مقبل :

فأخلف وأتلف إنما المال عارة وكله مع الدهر الذى هو آكله

وفى الصحاح : العارية بالتشديد كأنها منسوبة إلى العار لأن طلبها عار وعيب

* ج ١٣ ص ٢٨٩ : قال (على بن عبد الله بن وصيف الناشى[1]) لما وفدت على سيف الدولة وقع فى أبو العباس النامى[2] [3] ، وقال : هذا يكتب التعاويذ . فقلت لسيف الدولة : يتأمل الأمير فإن كان يصلح أن يكتب مثله على المساجد بالرِّبح فالقول كما قال . وأنشدته قصيدة أولها (الدهر أيامه ماض ومرتقب) وقلت فيها :

فارحل إلى حلب فالخير منحلب
من نيل كفك إن لاحت لنا حلب

فقال : يا أبا الحسين ، بيت جيد لكنه كثير اللبن ...

وجاء فى الشرح : الربح فى الأصل الدبغ . والربح والرويج : الدرهم الصغير الخفيف .

قلت : (يكتب مثله على المساجد بالزاج) فى التاج : والزاج ملح معروف ، وقال الليث : يقال له : الشب اليمانى ، وهو من الأدوية وهو من أخلاط الحبر . وفى (الألفاظ الفارسية المعربة) : الزاج تعريب زاك أى ملح يصبغ به .

* ج ٣ ص ٣٥١ : والمنجم أبو الفتح أحد من سلك سبيل آبائه فى طرق الآداب (واهتدى بهديهم فى تلك إلى الفضائل من كلّ) روى عنه أبو على التنوخى فى نشواره فأكثر ، ووصفه بالفضل وما قصّر .

قلت : ربما كانت الجملة التى وضعتها بين قوسين بهذه الصورة : واهتدى بهديهم من تلك الفضائل إلى كل باب .

* ج ١٧ ص ١٦١ : أحسنت والله يا أبا الندى ، وأحسنت .

قلت : وقد وردت هاتان الجملتان أنفسهما فى ص ١٦٢ من هذا الجزء ، ومعهما هذه الواو العاطفة ، واليقين أنها من زيادة الناسخين ، إذ بين الجملتين كمال الاتصال ، وهو مانع من مثل هذا العطف .

* ج ١٧ ص ١٦١ :

يا قبر نجدة لم أهجرك مَقلِيةً ولا جفوتك من صبرى ولا جلدى

قلت : مقلية — بفتح الميم لا ضمها كما ضبطت فى الكتاب —

(١) الأصغر ، والناشى الأكبر عبد الله بن محمد .

(٢) فى وفيات الأعيان كنيته أبو الحسن .

(٣) احمد بن محمد الدارى من فحولة شعراء عصره وخواص مداح سيف الدولة وكان عنده تلو المتنبي فى المنزلة والرتبة (ابن خلكان)

وليس فى العربية أقلاه حتى تجئ مقلية . فى اللسان : قليته قِلى وقَلاء ومَقلية : أبغضته . وفى الأساس : وهو يقليه ويقلاه ، وفعل ذلك عن قِلى ومقلية .

* ج ٢ ص ٦٣ : وله (للصابى) :

وجع المفاصل وهو أيسر (م) ما لقيت من الأذى
جعل الذى استحسنته والناسُ من حظى كذا
والعمر مثل الكأس يرسب (م) فى أواخرها القذى

وجاء فى الشرح : من حظى متعلق باستحسن ، وكذا إشارة إلى وجع المفاصل ، والناس ترفع عطفاً على فاعل استحسن وبنصب مفعولاً معه وهو أرجح :

قلت : واليأسَ بالنصب عطفاً على الذى ، و (كذا) كناية عن حالته هنا .

* ج ١٦ ص ١٦٥ : لا تتصدَّر إلى فائق أو مائق .

قلت : (لا تتصدَّ لفائق أو مائق) لأن الأول يغلبك والثانى يتعبك .

* ج ١٥ ص ٦٩ : ومن كتابه[1] (كتاب سرعة الجواب ومداعبة الأحباب) أنشدنا الإمام أبو الحسن على بن أبى زيد فى المذاكرة وقد رُقى إليه كلام قبيح عن بعض أصدقائه فقال مستشهداً :

إنى إذا ما الخليل أحدث لى صَرماً وملّ الصفاء أو قطعا
لا أختشى ماءه على رنق ولا يرانى لبينه جزعا
اهجره ثم ينقضى زمن الهجران (م) عنا ولم أقل قذعا
احذر وصال اللئيم ، إن له عَضْهاً إذا حبل ذكره انقطعا

وجاء فى الشرح : عضها أى تمزيقاً وتفريقاً .

قلت : الأبيات للمتوكل الليثى فى (الحماسة) وفيها (غُبَّر الهجران[2]) مكان (زمن الهجران) و (حبل وصله انقطعا[3]) .

* ج ٧ ص ١٥٨ : ومن شعر (جعفر بن أحمد السراج البغدادى) :

دع الدمع بالوكف يُنكى الخدودا فإن الأحبة أضحوا خمودا

وجاء فى الشرح : من نكأ الرجل القرحة : قشرها قبل أن تبرأ .

قلت : (تنكى) بفتح التاء ، نكاه ينكيه لا أنكاه ، ولم يكن تبل البكاء فى الخدود قرحة حتى يدعو الدمع إلى نكئها . وإنما يدعوه اليوم إلى نكايتها : إلى جرحها وتعذيبها ...

* ج ١٨ ص ١٤٣ : وقال ابن دريد فى النرجس :

عيون ما يلم بها الرقاد ولا يمحو محاسنها السهاد
إذا ما الليل صافحها استهلت وتضحك حين ينحسر السواد
لها حدق من الذهب المصفى صياغة من يدين له العباد
وأجفان من الدر استفادت ضياء ، مثله لا يستفاد
على قضب الزبرجد فى ذراها لأعين من يلاحظها مراد

قلت : (مَراد) بفتح الميم هنا لا ضمها . أى مجال . فى الأساس : وراد روداناً : جاء وذهب ، وراد النعم فى المرعى تردد ، وهى فى مَرادها . وفى التاج : مراد الريح : حيث تجئ وتذهب .

***

فى الرسالة ٦٢٥ فى القسم ـ ٦ ـ يروى البيت الآتى بهذه الصورة :

بل ثياب القين بزكم وثياب القين مشتبره

بيت أبى تمام فى القسم ـ ٨ ـ فى آخره ، هذه روايته :

يحميه لألاؤه ولوذعيته من أن يذال بما أو ممن الرجل

ولم يجئ (فى طبعة إرشاد الأريب) بيتاً وإنما جاء كلاماً منثورا .

---

(١) الحسن بن جعفر بن عبد الصمد .
(٢) الغبر : البقايا واحدتها غبرة (التبريزى)
(٣) يقول : احذر مواصلة اللئيم ومؤاخاته لأنه إذا انقطع حبل وصله تكذب عليك وتخلق من الافك فيك ما لم تكسبه . ويقال : عضهته إذا رميته بالزور ، وعضه الرجل أتى بالعضيهة وهى الافك (التبريزى) .

محالفة ثلاثية ضد العالم

للأستاذ نقولا الحداد

بعد أول اجتماع بين تشرشل وروزفلت ألقى تشرشل خطبة في مجلس العموم ، قال فيها إنهما اتفقا على أن يكون في العالم هيئتان دوليتان كبريان تحلان محل جامعة الأمم المرحومة : الأولى غربية لجميع دول أوروبا وأميركا . والثانية شرقية على مثالها . والهيئة الأولى تؤلف من روسيا وانجلترا والولايات المتحدة كدول أساسية ، ثم تنضم إليها الدول الأخرى تابعة أو ثانوية لها . ولم يقل شيئاً عن الشرقية .

ووافق ستالين على هذا .

ومن ثم نشأت عبارة « الأقطاب الثلاثة » فقلنا حينئذ إن هذا النظام هو تحالف ثلاثة ضد العالم كله لأنه فهم من نحو تلك الخطبة أن الكلمة النافذة في تلك الهيئة الغربية هي لهذه الدول الثلاث وأن للدول الصغرى رأياً استشارياً فقط . فما تقرره دول الأقطاب ينفذ .

ولما صدر ميثاق سان فرنسيسكو الأخير وفيه دستور « مجلس الأمن » ظهر أيضاً أن الرأي الأول الأعلى هو لهؤلاء الدول الثلاث . وأما سائر دول الاتحاد الدولي وعددها ٤٨ دولة فتعتبر ثانوية ورأيها ثانويا . وقد أضيف إلى الدول الثلاث الرسمية فرنسا والصين . وبهذه الإضافة سقط مشروع « الهيئة الدولية الشرقية » التي نوه بها تشرشل في خطبته المشار إليها . وكان يظن أن الصين تكون رئيسة هذه الهيئة الشرقية .

وقد ألحقت الصين وفرنسا بهذا المجلس كدولتين دعيتين كدول الأقطاب الثلاثة لا لأنهما دولتان كبريان فلابد من أن يحسب حسابهما إذا اختلفت دولات الأقطاب فتعدلان الميزان — ليس لهذا السبب فقط ، بل لأن فرنسا المخلفة التي قومتها انجلترا على قدميها ، وهي على أنف ألمانيا من جهة الغرب ، لازمة لكل من الدولتين روسيا وانجلترا اللتين تخشيان مناوءة ألمانيا لها إذا استطاعت أن تعود إلى المناوءة . ولهذا تجاذبتها روسيا من ناحية وانجلترا من ناحية أخرى كل منهما تخطب ودها . فغريب أن قوتين تتنافسان في الالتجاء إلى ضعيفة . فمن حسنات الخلاف القائم الآن بين الأقطاب أو من مساوئه أن الضعيفة استقوت وتدللت وعادت تشمخ بعد أن تمرغ أنفها في حمأة الذل والهوان .

وأما الصين فتتجاذبها دول الأقطار جميعاً لأنها المرعى الخصيب للاستعمار التجاري فلابد من التملق لها . على أن النفوذ الأول والاخر لدول الأقطاب الثلاثة أولا وآخراً .

وكان من مناقضات الديموقراطية أو مفارقاتها في « مجلس الأمن الدولي » السانفرسيكي أن المجلس يرفض أية شكوى من أية دولة صغيرة أو ثانوية ضد دولة كبرى رئيسية إذا كانت واحدة من الدول القطبية ترفضها — هذا بحسب دستور المجلس المذكور .

وقيل إن سبب هذا الرفض المخالف للعدل والحق والديمقراطية أن الدولة الرافضة قد تطلب النزال إلى الميدان . فتحاشيا للجنوح إلى الحرب سن هذا القانون الغريب العجيب . وهو موافقة الدول الكبرى للدولة الرافضة على الرفض حتما .

إذاً لا ينظر مجلس الأمن في شكوى دولة صغيرة من دولة كبرى بل ينظر فقط في شكوى صغيرة من صغيرة . والدولة الكبرى فوق القانون أو في حصانة القانون .

إذن فمجلس الأمن هذا هو مجلس تحكم الأقوياء بالضعفاء . هو محالفة ثلاثية قوية ضد جماعة من الدول الصغرى . ولا يؤمن ظلم هذا المجلس إلا إذا وقع خلاف شديد بين الأقطاب الثلاثة أو الأقطاب الخمسة . فأين الأمن الذي ينتمي له هذا المجلس القطبي العظيم ؟ وكيف يطمئن العالم إلى أمن دولي يترنح بخيط واهٍ في الهواء ؟

إذا كان لمجلس الأمن شأن في فض مشاكل الدول فما معنى أن يجتمع الأقطاب الثلاثة الآن لكي يفضوا مشاكل الأمم الشرقية : طنجة ، والدردنيل ، وأردهان ، والبلقان ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين الخ فضلا عن مشاكل أوروبا نفسها ؟ إذن ما هي وظيفة « مجلس الأمن » الذي يحسبونه أعظم نتاج لمؤتمر سان فرنسسكو إذا لم يكن من شأنه أن ينظر في هذه المشاكل ؟

نرى أن مصالح العالم كله أصبحت رهن قرارات مؤتمر الأقطاب الثلاثة . ومن يدري أن هذا المؤتمر الثلاثي لا يعقد كل حين بعد آخر لتسوية مشاكل الأمم ما دام أعضاؤه متفقين . فيكون أمره الأمر .

تطور بلاد العرب الشمالية (*)

وتأثير ذلك فى علاقاتهم الخارجية

للميجر ج . ب . كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

أريد أن أقسم موضوع مقدار الرقى والتغير فى بلاد العرب الشمالية إلى قسمين : أولا بحث الموضوع من الوجهة الجغرافية ؛ ثانياً بحث قابلية سكان تلك الأقطار للرقى . وفى النهاية نستخرج خلاصة هذين القسمين فى نتيجة لنكون لنا فكرة عن المستقبل .

العوامل الجغرافية الخارجية

يجدر بنا عند بحث الوجهة الجغرافية أن نقسمها إلى فصلين : عوامل خارجية وأخرى داخلية . إن أول ما يلفت نظر الإنسان فى بحث أهمية الأقطار العربية فى السياسة الدولية من وجهة جغرافية خارجية هو كونها ممراً بين أوربا وآسيا . وإذا ما رجعنا إلى الوراء نجد أنه منذ بدء التاريخ لم توجد طريق بين الهند والشرق الأقصى وبين أوربا — طريق يمكنها أن تحتل بالفعل مكانة الطريق التى تمر من الأقطار العربية . ويرجع ذلك لكون بلاد فارس والأناضول تحتل جانباً من جانبى هذه الطريق، والسودان والحبشة والصحراء الكبرى تحتل الجانب الآخر . ونظرة إلى الأناضول وبلاد فارس ، وهما بلدان جبليان ، وإلى الحبشة والسودان والصحراء، وهى بلاد صحراوية ، ترينا أنهما يشكلان حاجزين فى طريق الشرق وبينهما مصر وسوريا الطريق الوحيد للشرق . لقد حفرت قناة بين النيل وبين البحر الأحمر لتحمل التجارة منذ زمن الفراعنة . وعند قيام البتراء كانت البضائع تحمل على الجمال على طول الشاطئ الحجازى لتوزع على الإمبراطورية الرومانية ، كما نقلت التجارة على الفرات قاطعة بادية الشام إلى تدمر . وفى زمن النبى (صلعم) كانت لمكة أهميتها التجارية الخاصة إذ كانت

(*) محاضرة ألقاها الميجر ج . ب . كلوب فى تشاتام هاوس بلندن فى اجتماع ترأسه السير رونالد ستورس .

لسنا والله على أمل ورجاء فى الأمل والسلام إذا كان الأقطاب يضطرون أن يجتمعوا لكى يدبروا أمور الأمم حسبما يروق لهم وحسبما تقتضيه مصالحهم من غير اعتبار للعدل والحق . وقد صدر قانون مجلس الأمن باستهلال نذير بأنه ليس إلا أعوبة سخرية أو مهزلة تمثيلية لأنه فى ساعة ما كانت فرنسا توقع على ميثاق الأمن والسلام كانت تغدر بسوريا وتنكل وتفظع فيها بلا حياء ولا خجل وهى عزلاء . فإذا كانت فاتحة نظام الأمن هكذا فأى مهزلة أقبح من هذه المهزلة ! وما قيمة هذا الميثاق إذا كان أحد أركانه وقطب من أقطابه يفتتح العمل به ، بهذا التمثيل والتفظيع .

وإذا كان مجلس الأمن يؤلف من خمسة أعضاء دائمين وستة ينتخبون بالتناوب ، وإذ كان فصل الخطاب للدائمين والطاعة العمياء للستة المتجددين ، فأين الديمقراطية وأى قضاء هذا ؟ وكيف يكون عادلا ؟ هل قضاته ملائكة فى السماء لا مطامع لهم على الأرض ؟

وما معنى أن يقتصر مؤتمر الأقطاب على الثلاثة فقط ولا يشمل الأقطاب الخمسة جميعاً ؟ هل العضوان الآخران « طرطوران » ؟ لم نخطئ فى قولنا أن مصالح العالم كله أصبحت فى أيدى ثلاثة رجال فقط وهو أمر من أغرب أمور التاريخ الجديد .

نرانا أمام عدة هيئات :

١ — الأقطاب الثلاثة .

٢ — الأقطاب الخمسة .

٣ — مجلس الأمن ذى الأقطاب الأحد عشر .

٤ — جمعية الدول العمومية ذات الـ ٥١ عضواً .

فبأى هذه الهيئات يتعلق مصير الأمم الصغرى يا ترى ؟ وأيها أحق بفض مشاكل الأمم وأصلح لها ؟

نرى أننا فى فوضى من الأنظمة الدولية المتضاربة المتعاكسة المنذرة دائماً بالاضطراب العالمى . الأمن فى يدها تحت خطر .

أضف إلى ذلك خوف العالم من عقبى اختلاف الأقطاب . وهو شر نذير بالخطر المخيف . فإذا اختلفوا يحتدم الخطر ويقع القضاء والقدر . اللهم انقذنا من اقتداح الشرر ، حسبنا ما كان وما غبر .

نقولا الحداد

البضائع تحمل على الجمال وتقطع الحجاز إلى الأمبراطورية الرومانية ليستفيد الرومان منها دون الاضطرار إلى مرورها بالمناطق الفارسية. وقد حاول البرتغاليون فى القرون الوسطى تأسيس مراكز تجارية فى الخليج الفارسى والبحر الأحمر ثم فى عدن — كما أن البريطانيين اتخذوا الفرات لتأسيس مصلحة مراكب بخارية تنحدر من سوريا الشمالية عليه. وفى هذه الفترة حفرت قناة السويس فعادت طريق التجارة إلى مصر. ومن الحرب الكبرى نرى أن سيارات الصحراء والمواصلات الجوية حولت قسماً من التجارة إلى سورية وفلسطين والعراق. ولكن مهما تأرجحت طريق التجارة نجدها دائماً بين أيد عربية — مصر من جانب، وبلاد الرافدين (الجزيرة) من جانب آخر.

إن أهمية البلاد العربية لا تنحصر فى كونها ممراً بين أوربا والشرق فحسب، بل لأنها أيضا الجسر البرى الوحيد إلى أفريقيا. ولقد مر كثير من الجيوش المغيرة عن طريق سورية — فلسطين — سينا إلى أفريقيا. لقد حاول الفراعنة احتلال سورية عن هذه الطريق، ومنها انحدر الاسكندر الكبير لاحتلال مصر، والرومان يوليوس قيصر — أوغستين مرا من هذه الطريق. ومنها خرج العرب إلى أفريقيا بعد قطع سينا وسار الصليبيون إلى مصر، كما أن حملة أخرى منهم نزلت مصر للسير منها إلى فلسطين. وقد هاجم نابليون مصر لفتح آسيا. وفى الحرب العالمية السابقة نرى كيف سار الأتراك لمهاجمة مصر، وكيف دخل الانكليز فلسطين عن طريق سينا. إن الأقطار التى نتحدث عنها حافظت على أهميتها الدولية السياسية أكثر من أى قطر آخر فى العالم. لهذا يمكننا القول بأن أهمية هذه الأقطار ترجع لكونها المر إلى الشرق الأقصى أولا، ولأنها الجسر البرى الوحيد لإفريقيا ثانياً.

العوامل الجغرافية الداخلية

إن جغرافية هذه الأقطار الداخلية لا تقل أهمية عن جغرافيتها الخارجية. وعند ما أتكلم عن البلاد العربية الشمالية أعنى (سورية وشرق الأردن وفلسطين والعراق. والنصف الشمالى من جزيرة العرب) فإذا ألقينا على خريطة هذه البلاد نظرة نجدها تشكل مثلثاً رأسه حلب ويخترق ضلع المثلث سورية وشرق الأردن وفلسطين وشمالى الحجاز، كما يخترق الضلع الآخر العراق حيث ينتهى برأس الخليج الفارسى، وتمتد قاعدته من البحرين حتى المدينة المنورة. أما قلبه فهو الصحراء. إن القسم الأهم من تاريخ هذه الأقطار يرتكز على هذا التكوين الجغرافى الخاص فضلا عن كون الصحراء فرقت هذه البلاد، فقد وضعت سورية والعراق على اتصال بالبلدان الخارجية (استعمل الآن كلمة سورية لأعنى الأقطار المعروفة الآن بسورية وفلسطين وشرق الأردن)، وهذا ما جعل هذين القطرين عرضة للمؤثرات الخارجية، وبقيت حضارة نجد والحجاز — فقط — حضارة عربية محضة. وكانت نتيجة هذه الحضارات المتباعدة أن نرى الحجاز ونجداً عربيتين فى حضارتهما، بينما نرى أن أوربا وبلاد فارس والأناضول ومصر قد أثرت على حضارتى جانبى المثلث الشماليين.

الهجرة من وسط الجزيرة العربية

بينما نجد بادية الشام التى تشكل قلب المثلث تكوّن حاجزاً فى طرق المواصلات بين سوريا والعراق، نراها واسطة الاتصال والنقل لسكان نجد أو البلاد السعودية. وأن تلك البقعة الممتدة من الحجاز إلى الخليج الفارسى آهلة بقليل من السكان يعيشون على زراعة النخيل فى واحات متفرقة، وهم على الأرجح ينتمون إلى شعوب ما قبل التاريخ. وبالرغم من معيشتهم فى أراض زراعية نراهم يجوبون الصحراء ويقطعونها، وبالعكس نرى أن أهالى سوريا والعراق الذين يعيشون فى مناطق مملوءة بالسكان لم تبق لهم حاجة لقطع الصحراء لاستقرارهم فى البلدان التى يقطنونها. وهكذا نجد أن الصحراء التى تقف فى طريق المواصلات بين سورية والعراق هى طريق المواصلة بين سكان قلب الجزيرة وبين الأقطار الشمالية، وهى بالنسبة لهم كالبحر بالنسبة إلى الشعوب البحرية.

توجد مقابلة شيقة بين بادية الشام وبين القسم الشرقى من البحر الأبيض المتوسط. توجد على شواطىء الجانب الشرقى من البحر الأبيض المتوسط موانىء تحمل كلها طابعاً مدنياً واحداً. فإذا سرت من الاسكندرية إلى حيفا فبيروت فأزمير فالقسطنطينية تجد شبهاً كبيراً بين هذه المدن؛ مع أن هناك بوناً شاسعاً بينها وبين المدن الداخلية. إن مصر وبلاد العرب وتركيا واليونان

بلدان مختلفة ولكن ثغورها متشابهة . كما أن العرب قطعوا الصحراء وأنشئوا مدناً هي عمان ودمشق وحماه وحلب ، وهي تحمل المدنية والطابع العربي . ولذلك فإن الإنسان يقدر أن ينظر إلى بادية الشام كبحر يقابل البحر الأبيض المتوسط الذي تحمل ثغوره مدنيته الخاصة ، تقابلها مدنية عربية محضة على أطراف المثلث المحيط ببادية الشام أو الصحراء السورية .

الصحراء كحاجز حربي

إن هذه الصحراء التي رأيناها في بحثنا واسطة اتصال — نوعا ما — لسكان قلب الجزيرة العربية ، نراها تقف حجر عثرة في سبيل الأعمال الحكومية أو العسكرية ؛ فبينما نجد أن سوق جيش من الأناضول إلى سورية أو العراق سهل ، نجد الصعوبة كلها في سوق جيش من قلب الجزيرة بقطع مئات الأميال من القفار .

وإذا ما ألقينا نظرة إلى تاريخ سورية والعراق نجد أنها من بدء الميلاد حتى سنة ٦٥٠ للميلاد حكمها الرومان والفرس . ومع أن الهجرة الفردية من الجزيرة إلى هذين القطرين لم تنقطع فقد كانت تقوم صعوبات جمة في وجه أية حملة حربية يراد سوقها من الجزيرة إليهما . هذا فضلا عن سهولة الاحتفاظ بسوريا على الرومان من آسيا الوسطى ، وبالعراق من إيران على الفرس .

لقد كان سكان تلك الأقطار عربا ، وبالرغم من حكم الرومان والفرس فقد كانت ثقافتها عربية محضة ؛ وقد قامت فيهما إمارات عربية صغيرة كأمارات الغساسنة في سوريا واللخميين على الفرات . إن ثقافة بلاد العرب كانت مستمدة من الجزيرة ، وكانت القوة السياسية والحربية مستمدة من الأناضول وإيران . وهذا الموقف الذي لم يتغير أبداً يتلخص في أن العرب أقوياء بثقافتهم ضعاف بقوتهم الحربية ، وهذا أمر يعزى أكثره إلى جغرافية الصحراء السورية

لقد غير الإسلام الوضعية ، وذلك بتأثير الروح التي أثارها في العرب ، فتمكنوا من التغلب على هذه الصعوبات وفتحوا سورية وإيران ، ولكن لم تنقض فترة حتى ظهرت هذه الصعوبات مرة ثانية . لم يتمكن الخلفاء من البقاء طويلا في الحجاز واضطروا عند قيام الأمويين لنقل عاصمة ملكهم إلى دمشق ، وعند قيام العباسيين الذين لم يرضوا ببقاء العاصمة في دمشق نقلت إلى بغداد(١) وهكذا نجد أن العرب عند ما كانوا حاكمين على المثلث بأجمعه ، وعند ما كان الإسلام في القمة عملوا على مقاومة هذه الصعوبات الجغرافية ، أي الصحراء التي تلتف البلدان العربية الهامة حولها

رأس حلب

عند سقوط الامبراطورية العربية وقيام الأتراك ظهرت حقيقة أخرى تتعلق بالمثلث ، وهي ما يمكننا أن نسميه « رأس حلب » إن جانبي المثلث (جانبي العراق وسورية) يلتقيان في حلب ، فإذا ما أراد أحد هذين القطرين مساعدة الآخر وجب عليه قطع الممر الضيق المأهول بالسكان حول حلب ، إذ لا طريق غيره — خلا طريق الصحراء — وبذلك نرى أن أي قوة حربية تنحدر من الأناضول إلى حلب يمكنها قطع خط المواصلة بين القطرين ، أو أن أي قوة حربية يمكنها الدفاع عن حلب تقدر أن تقطع خط الرجعة على أي جيش يسير من سوريا إلى العراق وبالعكس . ومن المؤكد أن الهجوم على جانبي المثلث واحتلالها من قبل قوة تعسكر شمالي حلب ، أسهل بكثير من سوق قوة من العراق إلى سورية أو بالعكس للدفاع عن أحد هذين الجانبين

وإذا لاحظنا أن الأتراك حكموا البلاد مدة تزيد على ٦٠٠ سنة نرى أن الأثر الذي أبقوه وراءهم بسيط جدا ؛ إذ لم يتمكنوا من التأثير على الثقافة العربية — وبالرغم من مرابطة الفيالق في أكثر المراكز الهامة ، ومن وجود موظف أو موظفين كبيرين من الأتراك فقد كان أكثر الموظفين الصغار عربا وكانت أكثرية أهل البلاد يحكمهم الزعماء لا الحكومة ؛ هذا عدا عن بقاء اللغة العربية اللغة المستعملة في البلاد . وهكذا نضطر أن نعود إلى معادلتنا الأولى وهي أن العرب ضعفاء بقوتهم الحربية أقوياء بثقافتهم .

أرجو إن سمحتم لي أن أعدد نتائج العوامل الجغرافية التي وصلنا إليها مرتبة كما يلي

(١) أن نقل العاصمة إلى دمشق كان لسبب آخر وإن جاء موافقاً لما أورده المحاضر لقد نقل معاوية العاصمة إلى دمشق لأنها كانت معقل الأمويين ومصدر دعوتهم ؛ ونفس السبب دفع العباسيين لنقل مركز الدولة إلى بغداد . (المترجم)

العوامل الجغرافية الخارجية

١ — إن بلاد العرب ممر بين أوربا وآسيا يحيط به بلاد فارس والأناضول من جهة ، والصحراء الكبرى والسودان من جهة أخرى .

٢ — إن البلاد العربية هي الجسر البرى الوحيد بين أفريقيا وبين بقية أقطار العالم الأخرى

٣ — إن بلاد العرب نقطة الاتصال بين ثلاث قارات ، وهي قلب العالم القديم

العوامل الجغرافية الداخلية

١ — إن بلاد العرب تكوّن مثلثاً تتوسطه بادية الشام

٢ — إن بادية الشام فرقت بين الأقطار العربية ، كما أن سورية والعراق اتصلتا بحكم مركزها الجغرافى بالأناضول ومصر وإيران وأوروبا ، وهذا الاتصال جعل لهما ثقافة خاصة تختلف عن ثقافة قلب الجزيرة العربية

٣ — إن بادية الشام هي طريق الاتصال لسكان قلب الجزيرة العربية الذين ما زالوا على اتصال بالأقطار الشمالية ، والذين حافظوا على ثقافتهم العربية

٤ — بينما نجد بادية الشام واسطة نقل وبث للثقافة العربية نراها تقف حجر عثرة فى سبيل الأعمال الحربية ، ولذا نرى أن العرب وجدوا من الصعب حينما تولوا الحكم أن يحكموا سورية والعراق وقلب الجزيرة العربية من عاصمة واحدة

٥ — إن التقاء جانبي المثلث فى رأس حلب يجعل أية قوة حربية فى الأناضول قديرة على مهاجمة كل من سورية والعراق دون أن تتمكن إحداهما من مساعدة الأخرى

قابلية العرب للرقى

إن بحثنا عن قابلية العرب للرقى أعمق وأصعب من بحثنا عن الموقع الجغرافى الذى يمكن تحديده إذا ما نظر الإنسان إلى الخريطة والذى يتلخص فى سرد الحقائق . وتزداد الصعوبة على الأخص عند ما نرى أنفسنا مضطرين أن نخمن درجة قابلية العرب للرقى بالوقت الحاضر ، ودرجة استعدادهم وقابليتهم مستقبلا ، لأن كلا منا متأثر بعقائده ودراساته الخاصة ، وقد يكون متأثراً بدرجة قابليته بنفسه . وعلى كل حال فإذا لم أتمكن من إقناعكم بعقائدى فلعلى أتمكن من فتح باب للمناقشة بإعطائكم آراء جديدة . وقبل الدخول فى بحث استعداد العرب للرقى علينا أن نعرف ونحدد الرقى . أظن أن الرجل الأوربى ينعت الرقى بالنجاح المادى ، وقد ينعته بالنجاح الفكرى إذا ما طلب إليه تعريفه ، ولكن النجاح الفكرى يتوقف على النجاح المادى الذى نتمكن بواسطته من تأسيس جامعات ومختبرات تساعد على تهذيب الإنسان ، ولذلك يمكننا فى بادئ الأمر أن نعرّف الرقى بأنه القوة والثروة والاستقلال السياسى والمؤسسات الحكومية الأخرى كمصالح الصحة والمعارف والأشغال العامة الخ . ولهذا أرى أن أضع سؤالا فى الصيغة التالية : « هل يمكن أن يصبح العرب القاطنون فى البلاد العربية الشمالية ، وهل يريدون أن يكونوا فى عداد الأمم الأوربية الحديثة ؟

الديانة

سنتناول فى البحث عن هذه المسألة مظهراً أو مظهرين كلا على حدة . أولهما : هل يؤمن المسلمون والمسيحيون حقاً بتعاليم أديانهم أم لا ؟ كلنا يعلم بطبيعة الحال أن أدياننا أثرت فى حياتنا الاجتماعية وطرق معيشتنا ، ولذلك فإن العلاقات بين الإسلام والمسيحية تدخل فى موضوع بحثنا . ولا أدرى إن كنتم تعرفون أن الإسلام والمسيحية متقاربتان كل التقارب برغم ما قام بينهما من نزاع فى الماضى . وهذه الحقيقة يؤكدها المسلمون أكثر من المسيحيين . ويعتبر المسلمون من زمن النبى (صلعم) إلى يومنا الحاضر أن المسيحيين أقرب إليهم أكثر من أتباع أى دين آخر . إن العقائد الروحية السامية المتشابهة بين الديانتين كثيرة ، فكلتاهما أسستا على اليهودية ، أو بالأحرى إن الإسلام أسس على اليهودية والمسيحية ، وكلا الإسلام والمسيحية خرجا من بلد واحد ولهما نفس الأنبياء . وكلاهما يعترف بالعهد القديم « التوراة » ، وقد حدثنى قس مسيحى عمل فى بلاد العرب سنين عديدة قائلا : **إن الإسلام شكل من أشكال المسيحية باستثناء الاعتقاد بالعجائب .** وقد اتضح لى أن هنالك مظهراً آخر للتشابه بين **الديانتين** ، وهو

الأدب العربى في الهند

للأستاذ محمد يوسف البنورى

ربما يظن أن تقدم الهند فى صناعة الأدب العربى والشعر ليس كتقدمهم فى علوم الحديث والفلسفة ، والمنطق ، والرياضة ، والطـ ، وما إلى ذلك من الفنون العقلية

حقيقة أن تقدمهم فى كثير من العـلوم العقلية القديمة قد أصبح منذ عهد قديم ، بحيث لا يبارى ولا يجارى ، وأضحت عبقريتهم فى علوم الحديث مثلا فى العهد الحديث منذ أوائل القرن العاشر للهجرة حين سرى الوهن فى المجتمعات العلميـة الدينية فى البـلاد العربية ، غير أن ميزتهم الأدبية وبراعتهم فى الشعر العربى على رغم أن البلاد أعجمية قد خفيت على كثير من رجال الادب فى البلاد العربية ، مع أن مآثر نهضتهم الراقية المزدهرة فى خدمة اللغة العربية وتاريخ اللغـة العربية ، والأدب العربى لا تنكر ومقامهم فيها مشهود .

ومن العجيب أننا مهما حدثنا أحداً منهم بشئ عن رقيهم الحاضر فى اللغة العربية والأدب العربى ، سمع ذلك وهو فى حيرة مطبقة يكاد يسرع إلى الرد بالنفى لو لم تحل دونه رزانة العقل

وما من شك فى أن العصبية القومية إذا حلت مكاناً رحلت عنه فكرة الوحدة الإسلامية ، فإذا باتت آراء قوم مقصورة على مفاخر قومهم ولم تعد مطالعة مزاياهم الخاصة ؛ وصرفتهم غفلة أو غفوة من أن يقفوا على مزايا إخوانهم فى البلاد ، انقطعت صلة الأخوة العالمية ، ورابطة الوحدة ، وتفككت عرى المواساة .

ففكرة العروبة التى نشأت حديثاً فى الأفكار ، وتتجلى بين حين وآخر على صفحات المجلات ، كما أنها تنتج فوائد خاصة ، تمنع كذلك من ناحية أخرى فوائد هامة بلاد العـروبة أحوج إليها منهـا إلى تلك الفوائد الضئيلة أمامها ؛ فلا يستتب نظام عام بين الأمم الإسلامية المبثوثة فى أنحاء البسيطة الذى جاء به سيدنا المرسل إلى كافة الناس عجمهم وعربهم صفرهم وبيضهم عليه أزكى صلوات وتحيات مباركة . فمن الحتم اللازم أن يكون هناك نظام آخر يلوذ إلى كنفه وأحضانه سائر أقوام الأمة الإسلامية

إصرار كل من المسلمين والمسيحيين على ضرورة الإيمان بحوادث تاريخية معينة ، كما وإن لـكل من الديانتين شعائر وقواعد يجب إعادتها كل يوم ، ونحن قد اعتدنا هـذا المظهر من الإيمان فى الدين ، حتى إنه لم يعد يخطر لنا ملاحظة أهمية ذلك بالنسبة إلى الإسلام والمسيحية .

أنا لست ثقة فى البـوذية أو الـكنفوشية أو الهندوكية ، ولـكنى أرى وأتصور أنهم لايتشددون فى أهمية الإيمان ، كما يتشدد المسلمون والمسيحيون ، وأرى أن هذا المظهر الذى اتخذته الديانتان أوجد شبهاً كبيراً بين الأمتين

كثيراً ما نسمع أن الإسلام عائق لرقى العرب ، وبدون شك وجد كثير من المسلمين الذين اعتقدوا بأن الأرض منبسطة ، وبأن الاختراعات العلمية من عمل الشيطان ، ولـكن يجب أن لايغرب عن بالنا بأن كثيراً من المسيحيين اعتقدوا نفس الشيء ، وكانوا هم الذين أجبروا غاليلو على التراجع عند ما قال إن الأرض تدور حول الشمس . ومن الإنصاف أن أقرر أن الإسلام دين عملى أكثر من المسيحية من جهات عديدة — فالمسيحية هى التى نطقت بعدم جمع الثروة وفرضت حياة الزهـد والتقشف ، ولذلك فإننا نجد قول المسيحيين بأن الإسلام دين غير عملى للآراء غريباً — وإذا نظرنا إلى مبادئه الأولية يظهر لنا أنه دين عملى أكثر من المسيحية ، لأن المسيح (عليه السلام) لم يتفق والدرهم أبداً

المناخ

كثيراً ما يكون هواء البلاد وحالتها الجوية مفتاحاً لمعرفة أخلاق السكان ، وإذا نظرنا إلى مناخ بلاد العرب نتحقق أنه لايمكن أن ينبت أمة خاملة . ولا مراء فى أن مناخ الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط هو مناخ البحر الأبيض المتوسط ، ولـكن إذا ما تجاوزت الشواطئ إلى شرقى لبنان والأردن تجد الجو بارداً جداً ، ويشاهد الثلج والصقيع بكثرة فى أماكن عدة ، كما أن الجو غير رطب فى الصيف ، فهو بالعكس يلتهب حرارة ، ومثل هذا المناخ يحتاج لأمزجة متينة وأجسام قوية لمقاومته

(البقية فى العدد القادم)

ج. م. ل. قبعين

على حد سواء ، حتى تمنح بلاد العروبة فوائد عظيمة وتنتظم قوى الأمة فى الأنحاء قاطبة ، فتصبح الأمم كأمة واحدة ، وتدعم أركانها بدعائم الأخوة الموطدة كبنيان مرصوص لا يتزعزع بالقواصف الهوجاء والعواطف النكباء

ويكاد يكون عدم وقوفهم على الأدب العربى فى الهند أثرا من آثار هذه الفكرة أو مثلها . كنت أردت أن أكتب كلمة فى الموضوع هذا منذ نزلنا القاهرة من نصف عام ، بل أكثر ، ولكن حالت دونه الأمور التى لأجلها امتطينا صهوة الرحيل إلى مصر ، وكتبت شيئاً فى بعض المجلات والجرائد عن الحركة الدينية والنهضة السياسية فى الهند ، فوددت أن تكون رسالتى هذه إلى إخواننا المصريين وطلبة الأدب موضوع مقالتى فى مجلة «الرسالة» الزهراء ، وقد أزفت ساعة تقويض خباء الإقامة ، فتكون مقالتى هذه فى الرسالة رسالة وداع ، والأمر كما قال النابغة :

أفد الترحل غير أن ركابنا ... لما تزل برحالنا وكأن قد

لست أريد فى هذه النهزة ذكر الأدباء والشعراء فى الهند ، أو سرد تآليفهم فى الأدب وتاريخ الأدب العربى وسمو مكانتهم فى التفكير الأدبى ، أو البحث عن شعر نوابغ الشعراء منهم ، والموازنة بين أشعار هؤلاء وهؤلاء فى هذا الصدد ؛ فإن ذلك يستدعى نطاقاً أوسع مما عندى ، غير أنى أذكر شيئاً من شعر بعض علماء المعهد الدينى القديم فى الهند ، وأم المعاهد الدينية فيها (أريد بها دار العلوم) بديوبند بالقرب من عاصمة الهند « دهلى » .

إن هذه الجامعة العربية الدينية ، كما أصبحت مثلا أعلى فى نهضة الدين والعلوم الشرعية ، كذلك أصبحت قدوة فى الحركة الأدبية وثقافة اللغة العربية ، فظلت بقعة ديوبند ، تلك الأربعة الطيبة ، مرتعاً خصباً لطلبة الأدب ، ونبغت فيها نوابغ الأدب وجهابذة اللغة ورجال الشعر . وكثير من السياحين الناطقين بالضاد والزائرين لهذا المعهد من علماء البلاد العربية ، لما نزلوا هناك شاهدوا للأدب فيه وجوهاً باسمة ، وطلعات وسيمة ، ورأوا فيه للشعر العربى ارتياحاً ، ولاقوا فى ترحيبهم نغمات ترق لها قلوب من قصائد عربية أنطقتهم بكلمات طيبة تبدى شعورهم وتأثر نفوسهم بتأثرات دقيقة نحو هذه النهضة

وأخيراً ، هذه البعثة الأزهرية قوبلت هناك بحفاوة واحتفال هز أعطافهم ، وقام خطيبهم رئيس البعثة ، فأثنى جميل الثناء على ما شاهد من نهضتهم وأبدى إحساسه العميق نحوهم على الرغم مما أبداه فى تقرير البعثة لمصالح سياسية أدركناها

هذا المعهد العظيم بلغ شعره ألوف الأبيات عالم من علمائه فى شتى نواحى الشعر ، وهو إمام العصر الأستاذ المحدث الشيخ محمد أنور الكشميرى رحمه الله . ومن الغريب أن هذه الناحية لم يتخذها كمالا علمياً عكف عليه طول عمره ، أو عرف به ، لا بل مزيته هذه لا تعد مزية إلى ما خصه الله بجلائل النبل وآيات الفضل التى أصبح فيها نسيج وحده . ومع هذا له شعر بارع مطبوع عليه أبهة الشعر القديم بمتانة وفخامة مع انتقاء فصح الكلمات بانسجام رائق ، مصوغ فى قالب بديع ، فترى له روعة وجمالا فى حسن السبك ، وصياغة الألفاظ ، وأبعد به عن ركاكة فى اللفظ ، أو سماجة فى التعبير ، أو تفكيك فى التركيب والنسق ، أو اختلال فى النظم والانسجام

نعم ، إن شعره ترى فيه بريقاً يتألق من الشعر القديم ، ولمعة من شعر المخضرمين ، وربما تبدو فيه آثار من كلام المولدين مع نخافة فى اللفظ وجزالة فى المعنى

أجل ، إنما الشعر لوعة فكر ، ولمعة خيال ؛ ولكل فكر منزع ، ولكل خيال مذاق ، وذلك أمر لا مندوحة عنه . ومن خصائص شعره أنه قلما تخلو قصيدة له عن عواطف حزينة تثير فى القلوب رقة ، كأن نفسه تذوب حسرات ، ولا بدع ، فكان عميق الشعور ، دقيق القلب ، ومن ثم نجد أكثر شعره وألطف شعره فى الرثاء والبكاء ، فكان كما قال شاعر النيل حافظ ابراهيم :

إذا تصفحت ديوانى لتقرأنى ... وجدت شعر المراثى نصف ديوانى

لا يتسع النطاق لذكر سائر النواحى من شعره إلا أنى أقدم هنا شيئاً من شعره فى الرثاء وغيره لتنم نفحاته المسكية على حديقته الزهراء . قال رحمه الله فى رثاء شيخه الإمام الأستاذ محمود حسن الديوبندى المعروف بشيخ الهند .

قفا نبك من ذكرى مزار فند معَا ... مصيفاً ومشتّى ثم مرأى ومسمعا
قد احتفّه الألطاف عَطْفاً وعِطْفة ... وبورك فيه مربعاً ثم مربعا

إلى أن قال :

وكان حشا أُذنىّ دَرّا وحكمة   فتخرج من عينىّ دمعاً مرصعاً

وقال :

فوافيت دهراً ثم دهراً بمنيتى   وألفيت عمراً ثم عمرا ممتّعاً

وقال :

فلله دَرّ الحبّ حــتى أقامنى   أقول وأحكى أن فى المض مطمعاً (١)

وقال :

وأذكر أيام المزار وأننى   على غصص فى القلب حتى تصدّعا

وقال :

يضيق نطاق فى المراثى لحقّها   وثمّ مجال كيفما شئت فاصنعا

وقال فى مطلع قصيدة عصماء له فى مديح رسولنا العربى الهاشمى عليه صلوات الله وسلامه :

برق تألق مَوْهِنا بالوادى   فاعتاد قلبى طائف الإنجاد (٢)

أسفاً على عهد الحمى وعهاده   تُولى على الإبراق والإرعاد (٣)

رِهَمٌ تناوح تارة ديم لهـا   حتى غـدا الأيام كالأعيـاد

هبّ النسيم على الربى فتضاحكت   بشرى العميد عرارها والجادى

سنح الظباء فـكاد يهلك مغرم   حور العيون وعطفة الأجياد

وأكاد أشرق بالدموع إذا بدا   هجر فتبكى الورق بالأسعاد

أسقى التلول وأستحثّ ركائبى   وجـدا على التأويب والإسآد

ومن شعره :

إمن عهد ربع طالما كان أبكما   أجبت بدمع حين حيا وسلما

ووجد تَراه زورة بعـد زورة   على غصص الأزمان نادى وأرما

وقفت بها صحبى وجددت عهدهم   عسى إنّ عهداً ناء أن يتوسما

تهلل وجه الصبح يفتر ضاحكا   عن الثغر حتى كاد أن يتكلما

تباشير صبح أو تباشير مبسم   تنفس عن روح وبشر تنسما

وما ثم إلا من حديث قديمه   وتحديث أشجان ووجد تكلما

وربع قواه كاد ممـا أبثه   وأسقيه دمع العين أن يتبسّما

فقدت به قلبى وصبرى وحيلتى   ولم ألق إلا ريب دهر تصرّما

ومن عبرات العين ما لا أسيغه   ومن غلبات الوجد ما كان همهما

ومن نفثات الصدر ما قد بثثته   ومن فجعات الدهر ما قد تهجما

فأذكر أزمان الرفاق وأننى   على كبدى من خشية أن تحطما

تكففت دمعى أو كففت عنانه   وصار يجارى الدهر حتى تقدما

فهل ثم داع أو مجيب رجوته   يجـاملنى شيئاً دعا أو ترحما

وأظن ، أن فى هـذا القدر الآن كفاية للبصير . وقد عزم « المجلس العلمى » بالهند أن يجمع كلام إمام العصر المرحوم ويرتب ديوانه ويطبعه نرجو الله له التوفيق .

ومن فحول شعراء هذا المعهد العظيم الشيخ حبيب الرحمن المرحوم مدير المعهد وله شعر رقيق اللفظ منسجم رائق جزيل المعنى . ومن العجيب أنه كان شديد الاشتغال بشئون المعهد الإدارية ولـكن مع هذا له شعر غزير يربو على أربعة آلاف بيت فى غاية من اللطافة وحسن السبك ودقة النسيج وحلاوة اللفظ يكاد يظن أنه طول عمره كان عاكفاً على الشعر العربى ، ويمتاز شعره عن شعر إمام العصر المذكور بالرقة والانسجام ، وشعر إمام العصر يمتاز بالجزالة وفخامة الأسلوب ، وشعره أقرب إلى شعر المولدين ، كما أن شعر إمام العصر يشبه كلام المخضرمين . وأرى نفسى موفقاً فى الفرق بين شعرهما إن قلت إن الشيخ المدير كان بحترى عصره ، وإمام العصر فرزدق وقته . وديوان شعره مطبوع وإن لم تحل أشغالى دون مرامى عسى أن أنتهز فرصة وأقدم شيئاً من شعره لأخوان القاهرة والله الموفق .

محمد يوسف البنورى
الأستاذ بالجامعة الاسلامية بالهنـد .
وعضو « المجلس العلمى » نزيل القاهرة

(١) المض حكاية صوت يراد بها الانكار ومع هذا لا ينقطع به الطمع فى الاجابة ومن هذا يقال فى المثل « إن فى مض لمطمعا » .

(٢) الموهن : نصف الليل الاعتياد : الانتياب . الطائف الخيال . الانجاد : الذهاب إلى نجد الجادى : الزعفران .

(٣) الرهمة : المطر الضعيف الدائم . العهاد : أول المطر « تولى » « من الولي » المطر بعد المطر . العميد : الحزين التأويب : سير النهار كله إلا سآد سير الليل كله .

محرم الحكيم الاجتماعى

بمناسبة مرور الأربعين على وفاته

للأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

هى سنة واحدة قضاها أحمد محرم فى المدرسة ، أو على الأدق فى مدرستين : العقادين الابتدائية ، فمدرسة الجيزة بالقاهرة ، بعد أن تلق مبادئ القراءة والكتابة فى مكتب قرية الدلنجات من أعمال مديرية البحيرة وحفظ القرآن الكريم فى الثانية عشرة من عمره .

وبعد هذه السنة جاءه أبوه التركى المرحوم حسن افندى عبدالله بطائفة من علماء الأزهر يدرسون له النحو والعروض وسائر علوم العربية ، وعكف من ثم على التراث الأدبى العربى فى مختلف عصوره دارساً وحافظاً . هذه هى دراسة الشاعر الأولى ، أو هذه هى مدرسته الأولى التى هيأته للشعر يقوله ... ومنها انتقل إلى المدرسة الأخرى ، مدرسة الحياة الكبرى التى كونته حكيماً اجتماعياً إلى أن انتقل إلى العالم الباقى ...

وللحكمة فى قيثارة الشاعر وتر واحد ، عن هذا الوتر تصدر الحكمة والاجتماعيات فى نغمة واحدة أو فى أنغام مختلفة ... سهمان ينطلقان إلى هدف واحد ، هو تعمق الحكيم وشمول نظره ، وما يكون المرء اجتماعياً إلا لأنه حكيم ، وما يكون حكيما إلا لأنه اجتماعى .

وفى المدرسة الكبرى ، مدرسة الحياة راح الشاعر — من جديد — يدرس ويتعلم بالكثير من راحته ، وسكون نفسه واطمئنان باله ، وينفذ وراء بصره إلى أعمق ما تعرض الحياة من قضايا ، وما تكن زوايا البشر من خبايا ... كانت هذه الدراسة ، وهى قطعة من حياته ، أو هى حياته كلها — تأملا ، وشعوراً يستحيل عند فيضانه إلى تعبير جلى قوى تتمشى الحرارة فى ثناياه ، وتنبض الروح بين طواياه ...

وكان جل ما تعرض عليه الحياة ، تحت شجرة إلى جانب مقهاه الأثير فى دمنهور أمام المحكمة الأهلية ، حسبه منها ، ومن الحياة ، أن تنوء عليه ظلها ساعات فى الصباح ، ومثلها فى المساء . لم يكن يحتمل جو المقهى إلا ريثما يأخذ الصحف والبريد بنظرة خاطفة ، يهتز بعدها من الضيق فيحمل كرسيه ويطلب إلى الانتقال إلى « شجرة العرش » باسما !

وننتقل إلى ظلال « شجرة العرش » لنراجع النفس فيما سمعنا ورأينا وعلمنا ، ثم لنسكت ، أنا فى شأنى ، وهو فى تأمله الهادئ العميق .

وكثيراً ما كنت أستحضر فكرة ما — فى موضوع الساعة ، لأحدثه بها ، فأتعقب ما لا أرى ببصرى فى الأرض وفى السماء . فكان يهز رأسه ويقول : قيدْ ما يحضرك . فإنه يفرها ساكنة ، حتى تطلبها فتجدها فى مكانها « مقيدة » !

ورغم ذلك فقد كان رحمه الله على قوة فى الإرادة ، ونفاذ فى البصر ، ويقظة فى الشعور ، إلى درجة تريح نفسه من العمل بهذه النصيحة ، فكان أبداً على ثقة من العثور على « الفكرة » أو قل من « اصطيادها » أسمن وأغنى مما كانت حين سنحت له وخلا لها ...

فى ظل هذه « الشجرة » وهى كالمرصد للفلكى ، والمعمل للكيميائى ، جعل الشاعر « يصطاد » عناصر حكمته الاجتماعية ، ويتأمل فى هذا النبع الفياض ، من نفسه ومن الحياة ويشعر به شعوراً قوياً جياشاً ، ثم يسوق تأمله وشعوره فى حكمة هى الشعر ، وفى شعر هو الحكمة ، فيتقدم على كثير من الشعراء — أمام الناس جميعاً ، حكيماً اجتماعياً يضع أصبعه على أخطر الأدواء ، ويصف بالساحر من بيانه أنجع الدواء ...

وما أريد أن أعود بالقراء إلى يومه الأول لأعرض عليهم فنون حكمته فيه ، فلذلك مكانه من الكتاب إن شاء الله . وإنما أريد أن أعرض عليهم أبياتاً من قصيدة حديثه ، هى قصيدة العصر ، أو هى آلامه وآماله . .

وسبب هذه القصيدة — ومعذرة إلى القراء — مناظرة على صفحات « البلاغ » الأغر فى حياة صاحبها المغفور له عبد القادر حمزة باشا عليه رحمات الله ورضوانه — بينى وبين صديقى الأستاذ محمد السوادى فى « العبقرى ، فى الثراء ، والزواج ، والحب » من هو العبقرى ، وما شأنه ؟ قلت يومذاك إنه رجل طليق ، فى الثراء والزواج والحب والحياة كلها ... أو أنه بشر فوق البشر ...

وربى الشاعر ببصره فماذا وجد ؟ وجد الوسط الأدبى فى مصر يزخر بطوائف من المخبولين والممرورين والحالمين ... هذا يستنشق الأثير ، وثان يكرع الخمر الرخيص ، وثالث يتعاطى الأفيون ، ورابع يدخن الحشيش، وخامس يتمرغ فى أوحال الرذيلة ، وسادس وسابع . باسم العبقرية ، أو وراء «أشباح العبقرية» كما يسميها جورج دهامل يجرى كل هؤلاء المرضى والضعفاء . ولم يقل أحد إن العبقرية صحة ، وصحيح — كما يقول المدافع عن الأدب — أن هذه السموم تولد عند آلاف البؤساء شعوراً ذاتياً بالعبقرية ، ولكنها لم تهب العالم البشرى كتاباً واحداً ممتازاً .

العبقرية تصيح كل يوم : « رباه ! رباه ! ... لم تركتنى وحيداً » ! ؟

هذا هو العبقرى فى رأى جورج دهامل الأديب الفرنسى ، وهذا هو أسلوبه ، فانظر إلى العبقرى فى رأى شاعرنا الحكيم المصرى ، وهذا هو بيانه :

يقول القوم هذا عبقرى وذاك مثقف وأقول : واها !
عيوب العبقرية من قضاها وآثام الثقافة من جناها ؟
وهذا النور كيف تراه عينى ظلاماً يسلب الدنيا سناها ؟

بهذا البيان نفى حكيمنا الاجتماعى احمد محرم ، من العبقرى والمثقف ما يحاول الجهل أو الخبل أن يلصقه بهما من عيوب وآثام ...

ولم يقف عند هذا الحد ، فنظر إلى الشعوب ماضياً وحاضراً ومستقبلا نظرة هذه ترجمتها فى الحكمة شعراً :

أرى ملك الشعوب يقوم فيها على أخلاقها ، وعلى نهاها

ولنمض مع الشاعر إلى ما مضى إليه ... هى فكرة قرنها إلى فكر ، وحقيقة صارخة تصيدها فقيدها بحقائق أخرى . قال :

رأيت نساءكم غلبت عليكم فأمسى الخزى قد وسم الجباها
عجبت لذى الحليلة راودته عن الشرف الرفيع ، فما عصاها
وللأب مال بابنته هواها عن السنن السوى فما نهاها

إهابة جازع على أول وأهم ركن فى المجتمع ... وأى خير فى الأسرة إذا كان هذا حالها ، أو إذا انتهت إلى هذه الحال ؛ ولماذا لا ينعى دولة الرجال فيقول مقرراً فى أسف وألم لا يحس بهما غير الرجال :

وما عند الرجال قضاء أمر إذا قضت النساء على لحاها

وماذا بعد هذا مما يرضاه الحكيم الاجتماعى ؟ لا شىء إلا أن يقول :

رثت إلى المروءة من بلاد تبلد شيخها ، وغوى فتاها

ولكن هذا هو الداء ، فما هو الدواء ؟ هو أن :

أعيدوا الدين سيرته وشدوا عرى الأخلاق إذ وهنت عراها
وردوا بالزواجر كل غاد إذا وضحت له المثلى أباها

فبهذه الوسائل مع الدين ، أو فى الدين تعاد إلى الرجل دولته ، وتحل المرأة فى محلها ، ويساق الأبناء إلى الجادة فى أثرها ...

ولكن كيف ذلك وهو يقول ولا ينكر عليه أحد ما يقول :

لبئس القوم ما حفظوا كتاباً ولا عرفوا رسولا أو إلها

ولم يكن يقصد مصر وحدها ، فالعروبة كلها قصده ، وهذا العالم الإسلامى المترامى هو — كقصيدته — مجال آلامه وآماله ... لذلك يتساءل بعد هذا كله ولكل جوابه عليه :

وما تبغى العروبة من شعوب إذا ذكرت لشاعرها بكاها ؟

* * *

هذا هو « محرم الحكيم الاجتماعى » فى أبيات من الشعر ، و« لشاعر العروبة » قصة ألمية ، محيرة ، فى ديوانه « مجد الإسلام » نرجو أن نقدمها إلى الرأى العام فى فرصة أخرى إن شاء الله .

(دمنهور) **ابراهيم عبد اللطيف نعيم**

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

أعصابك ولماذا تثور ؟

كيف تنشأ إحساساتنا المختلفة من حب وحقد وغضب أو قلق واضطراب ؟ كل هذه الإحساسات منشأها تكوين المخ ، ففى وسطه فص صغير فى حجم البندقة اسمها السلامى . وهى قديمة جداً فى تركيب أجهزتنا العصبية ورثناها فيما ورثنا عن أجدادنا الأول الذين كانوا يعيشون بشريعة الغاب .

ويقابل السلامى فى المخ ويحاول السيطرة على إحساساتها قشرة رفيعة تغطى المخ وفصوص صغيرة موزعة خلف الجبهة ، وهذان الجهازان حديثان فى التركيب العصبى للانسان . وبهما نفكر ونتنبأ ونتغلب على إحساسات السلامى التى وهبتنا إياها الطبيعة فى بدء الخليقة لتكون بمثابة جرس الإنذار ينبهنا إلى الخطر أو الجوع .

والسلامى دائمة الطلبات فهى تدعوك دائماً إلى الإقبال على الخمر والميسر أو ما يطابق طبيعة الغاب الأولى من تخلص من القيود ؛ فإذا طلبت السلامى كأس خمر تصدت لها قشرة المخ وفصوص الجبهة قائلة حذار فإنك تعرف أن الخمر منكر وأنك تفقد وعيك وترتكب أعمالا شائنة إن سكرت .

وإن أغلق الباب بعنف وأنت فى ظلام الليل الرهيب صرخت السلامى « عفريت قادم لقتلك » ، فتجيبها الأخريان : « كلا ... إن هذا إلا ريح عاصف » وهكذا دواليك ؛ فالسلامى تدفعك إلى عالم الخيال والخزعبلات ، بينما قشرة المخ وفصوص الجبهة تعيدك إلى عالم الحقيقة والمنطق .

ويقول العلماء إن الموسيقى تخفف من حدة السلامى وتهدىء إحساساتها ؛ ولهذا فإن الأنشودة العاطفية تثير فينا إحساسات الحب والصداقة بينما الأنغام العسكرية القوية تثير فينا الشجاعة والتضحية . وهذه الإحساسات تظل مسيطرة إلى أن يعيدها إلى الواقع شىء من منطق القشرة وفصوص الجبهة .

دراسة تربة النيل

تجرى كلية العلوم بإشراف بعض إخصائييها دراسة تفصيلية لتربة قاع نهر النيل وشواطئه ، واستلزم الحصول على عينات من النهر سفر الدكتور رشدى سعيد فى باخرة خاصة مسافة عشرة آلاف ميل إلى أعالى النيل حصل منها على ٤٠٠ عينة من مختلف أنحائه ، واستغرقت الرحلة ٤٥ يوماً

والطريقة التى اتبعها هى الحصول على عينة من قاع النهر بأدوات خاصة ، ثم عينة أخرى من الشاطئ . وفى المناطق الهامة كان يأخذ عينة كل خمسة كيلومترات ، وبالأخص كلما تغير شكل التربة

والغرض الأساسى من هذا البحث معرفة الزمن الذى فيه اتصل نهر النيل بمنابعه فى أعالى السودان ، فإن علماء الجيولوجيا يقولون : إن منابع النيل فى أوغندا والسودان كانت منفصلة عن النهر ، ولعوامل جيولوجية خاصة التقى المجرى المقبل من الحبشة بزميله المقبل من السودان

وتفرع عن هذا البحث دراسة أخرى ، فإن إحدى شركات الأراضى الكبيرة فى الصعيد المصرى تملك قطعة أرض مساحتها عشرون ألف فدان . لوحظ أن مستوى الماء فى باطنها يرتفع ويفسد الزرع ، وأجرت الشركة عدة مشروعات لتصريف المياه ، فلم توفق ، وظلت الأرض تفقد حيويتها حتى قدرت الخسارة فى السنوات الأخيرة بمائة ألف جنيه

واستعانت الشركة بأحد الإخصائيين ولكنه امتنع عن إبداء رأيه حتى يحصل على دراسة تفصيلية لتكوين هذه الأرض الجيولوجى .

سيشمل إجراء هذه الدراسة والغرض منها معرفة خير الوسائل لتصريف الماء من باطن الأرض . وهل هذه المياه متسربة من النيل أو من مياه الأمطار أو الآبار ؟

وستحلل عينات الأرض والنهر لمعرفة تركيبها الكيماوى وصلة الواحدة منها بالأخرى . وينتظر أن يكون لهذه الدراسة بجوار أهميتها العلمية فائدة عملية لأنها تؤدى إلى تحسين الزراعة ووسائلها .

ديدان الأرض تضاعف منتجاتها

عرف داروين منذ قرن مضى أن ديدان الأرض تقويها على إنتاج المحاصيل الزراعية . وقد تيسر أخيراً استخدام هذه الديدان فى تقليب التربة . وينتظر باحثو هذا الموضوع أن يتضاعف محصول الأرض من مرة إلى ثلاث مرات .

وقد وجدوا بالتجارب أن القدم المربع يحتاج تقليبه إلى عشرة ديدان أى أن الفدان يحتاج إلى مليون دودة تقلب من أرضه ما يقدر بمائتى طن من التربة الجافة التى تساعد على تهوية جذور النبات . وهى تضيف إلى فائدة التهوية فائدتين أخريين ، لأن تأكل الجذور الميتة كما تبتلع البقايا النباتية والحيوانيــة المختلفة تعطى الأرض كمية طيبة من السماد العضوى بما تفرزه فى الأرض من بقاياها مما يغذى النبات ويزيد نموه .

ويقول الدكتور توماس بارت إن الفلاح يستطيع الحصول على عدد وفير من هذه الديدان بتوليدها . وليبدأ أولا بيعضها فى صندوق صغير ، فعند ما تبيض الدودة يستمر بيضها من ١٤ يوماً إلى ٢١ ثم يفرخ وهذه الأفراخ بدورها تبيض فى فترة تتراوح بين ٦٠ و ٩٠ يوماً .

ويقول هذا الأخصائى فى الديدان الأرضية أن تزويد الأرض بها يفيد صاحبها فوائد جزيلة . وقد اهتم بعض التجار فى الريف بهذا الديدان وجعلوها من المواد التجارية التى تباع وتشترى مثل ديدان القز .

ذكاء طفلك وموعد حمله

أثبتت الاختبارات التى أجراها بعض العلمـاء أن النظرية القائلة أن الأطفال الذين يتم بهم الحمل أثناء فصول الشتاء أكثر ذكاء ممن تم بهم الحمل فى فصول الصيف .

وفى مدينة باث اختار العلماء ٣٣٦١ طفلا من طلبة المدارس وأجروا عليهم تجارب الذكاء وفحصوا أحوالهم فوجدوا أيضاً أن الأطفال الذين يتم بهم الحمل فى الشتاء أقل أخوة أو أخوات من الذين يتم حملهم فى فصل الصيف .

وكتب الدكتور فرزر روبرت مدير مصلحة الأبحاث الطبية فى المجلة الطبية البريطانية فقال إن الأبحاث أثبتت أن الوالدين الأكثر ذكاء أكثر ميلا إلى الحمل أثناء فصول الشتاء ، وأن الوالدين الأقل ذكاء أكثر ميلا إلى الحمل أثناء فصول الصيف .

أحدث أنباء العلوم والمخترعات

قد لا ينتهى هذا العام ، حتى تنتهى هـذه الحرب ، ويبدأ العالم ثورته الاجتماعية والاقتصادية ، ويقفز بنا تقدم العلوم والمخترعات إلى بيئات جديدة ، ويفتح لنا مجاهل لم نطرق من قبل

وهدف هذا الباب من « الرسالة » اطلاع القارئ العربى على آخر أنباء تقدم العلوم والمخترعات التى نجزم على ضوء ما عرفناه عنها أننا مقبلون — بعد الحرب — على عالم جديد يختلف كل الاختلاف عن العالم الذى عرفناه

والعالم العربى بحكم مركزه الجغرافى يربط ثلاث قارات تعتبر من أهم مراكز النشاط فى العالم كله ، فجدير بالعالم العربى أن يدرك الانقلاب المقبل ويستعد له

سيارة بدون سائق

يستطيع سائقوا السيارات إذ انتشر الطراز الجديد من السيارات الأمريكية أن يتركوا سياراتهم تسير وهم نيام فى الطرق القليلة الزحام . فإن أحد المخترعين تمكن من تجهيز السيارات بآلة كهربائية تسيطر على عجلة القيادة

وهذه الآلة عبارة عن عينين كهربائيتين تصحح وضع السيارة إذا انحرفت عن الخط الأبيض الذى يرسم عادة فى منتصف الطريق ، فإن أراد السائق التخلص من سيطرة هذا الجهاز فى الطرق المزدحمة فإنه يضغط على زر صغير أمامه ليسير سيارته كما يريد

عصا تعقب ملكة النحل

اخترع أحد مهندسى محطة الإذاعة البريطانية عصا سحرية يسهل بها العثور على ملكة النحل ، ولو كانت مختفية بين ٥٠ ألف نحلة ، كما اخترع أيضاً جهازاً يعرف به أن خلية نحل على وشك التمرد وهجر مسكنها ، فيقودهم إلى خلية أخرى

وسر هذين الجهازين مادة خاصة كثيرة النشاط يصبغ بها ظهر الملكة فترسل إشعاعاً غير منظور ، فإن أردت العثور على ملكة النحل وإخراجها من جموعه قربت العصا المجهزة بأدوات كهربائية خاصة من جموع النحل ، حتى تسمع صوتاً قوياً يرشدك إلى مكانها ، فإن أرادت الملكة هجر الخلية تحركت من مكانها ، فتسمع أجراس الإنذار المعدة لذلك

فوزى الشتوى



١٢ – الفن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

عن الأمس وعن اليوم (تابع)

« وعلى ذلك ذهبت عنده وعملت منه عدة دراسات سريعة بالقلم الرصاص ليسهل على عمل التمثال فيما بعد . ثم أحضرت منصتي وشيئاً من الصلصال . ولما كان من عادة الشاعر أن يجلس في البهو مع أصدقائه كان من الطبيعي ألا أجد مكاناً سوى الشرفة أضع فيه تلك الأدوات القذرة . وإنك لتستطيع أن تدرك صعوبة واجبي . كنت أدرس الشاعر العظيم في انتباه كبير وأحاول أن أطبع شخصه في ذاكرتي ثم أجرى فجأة إلى الشرفة لأطبع في الطين ما لاحظته والتقطته ذاكرتي من هنيهة . ولكن كثيراً ما كانت تخبو ذاكرتي وأنا في طريقي إلى الشرفة . فإذا ما وقفت أمام المنصة لم أجد في نفسي القوة على لمس الطين . وكان يتحتم على أن أقفل راجعاً إلى مثالي مرة أخرى . « وعند ما قاربت النهاية من عملي سألني دالو (Dalou) أن أقدمه إلى فكتور هوجو : فأجبته إلى ذلك في حينه . ولم يعش الرجل العظيم الهم بعد ذلك كثيراً . وما استطاع دالو أن يبلغ غايته إلا من صبيبة أخذت للشاعر بعد موته » .

قادني رودان وهو يتكلم إلى ظرف من الزجاج بداخله قطعة واحدة من الحجر . إنه الحجر الأوسط من عقد ، الحجر الذي يضعه المهندس وسط العقد ليدعم به منحناه . نحت على واجهته قناع مربع من ناحية الخدين والصدغين ، متمشياً في ذلك مع شكل الحجر المربع . رأيت ثمت وجه فيكتور هوجو . وعند ذلك قال المثال الكبير : « كثيراً ما أتخيل مثل هذا الحجر يتوسط بناء يوهب للشعر »

وكان من السهل على أن أتخيل ذلك . فإن جبين فكتور هوجو وهو يدعم في ذلك الوضع حنية تذكارية فكأنما يرمز بذلك إلى العبقرية التي ارتكزت عليها آراء وجهود عصر بأكمله . ثم عاود رودان حديثه قائلا :

إني لأعطى هذه الفكرة أي مهندس يستطيع أن يخرجها إلى حيز التنفيذ » .

وقريبا منا قام التمثال النصفي لهنري روشفور ، وهو معروف تمام المعرفة ؛ فرأسه رأس ثائر تعلوه خصله شعثاء من الشعر تموج كأنها شارة التسليم ، وبجبينه عجر كثيرة كأنه جبين طفل مشاغب ، دائم الشجار مع أترابه ، له ثغر قلصته السخرية ، ولحية نافرة صاخبة . إنه ثورة لا تهدأ ، وروح النقد والكفاح بعينها . إنه قطعة فنية رائعة نستطيع أن نرى فيها ناحية من نواحي ذهنيتنا المعاصرة . وهنا قال رودان :

« وكانت معرفتي بهنري رشفور عن طريق بازير أيضا ، فقد كان رئيساً لتحرير الجريدة التي يعمل بها . ورضى هذا المناظر الشهير أن يجلس إلى . كان ذا روح مرحة حتى ليحس المرء منه السحر عندما يصغى إليه وهو يتكلم . ولكنه ما كان يستطيع الجلوس ساكنا لحظة واحدة . وكان يؤنبني في رفق لأني أنصرف بكليتي إلى مهنتي ؛ حتى لقد قال لي مرة وهو يضحك إني قضيت جلسة بأكملها في إضافة قطعة من الطين إلى التمثال ، وجلسة أخرى في رفعها عنه .

« وفيما بعد ، عندما رأى أن تمثاله حظى باطراء ذوى الذوق الرفيع وثنائهم جاراهم في ذلك الاطراء غير متحفظ ، ولكنه ما كان يعتقد أن تمثاله ظل على حاله الأولى من ساعة أن حملته من منزله ، وكان يكرر ويعيد على هذه العبارة : « لقد أعملت يدك فيه كثيراً . هذبته تهذيباً . وحقيقة الواقع أني لم أمسسه حتى بظفري » .

وعند ذلك أخذ رودان خصلة الشعر بإحدى كفيه واللحية بكفه الأخرى ثم سألني عما يمكن أن يشبهه إذ ذاك » . فقلت :

« تستطيع أن تقول عنه إنه قيصر من قياصرة الروم »

« هذا ما أردتك أن تقوله تماماً ، إذ أنى لم أستطع أن أجد الطراز اللاتينى القديم نقياً خالصاً كما وجدته فى روشفور »

وإذا لم يعد عدو الامبراطورية الألد للآن وجود تشابه بين وجهه ووجه القياصرة ، فإنى أراهن أن مجرد علمه بذلك سيبعثه على الابتسام

وعند ما تكلم رودان من لحظة عن دالو ، صورت فى مخيلتى تمثاله الذى صنعه لذلك المثال والمودع الآن بمتحف اللوكسمبورج إنه رأس متكبر عات يقوم على رقبة رفيعة معروقة كأنها رقبة طفل . له لحية كثة كأنها لحية صانع ماهر ، وجبهة مغضنة متجهمة ، وحاجبان أشعثان كأنهما حاجبا شيوعى قديم ، وهيأة متكبرة محمومة ترى فيها الديمقراطى الذى لا يحول . أما العينان الكبيرتان والتقعر البسيط الذى بالصدغين ، فتنم كلها عن الشغف العظيم بالجمال

سألته عن هذا التمثال فأجابنى بأنه عمله عند ما عاد دالو من انجلترا بعد أن شمله العفو السياسىّ وقال :

« إنه لم يأخذه قط ، لأن علاقتنا انصرمت من بعد أن قدمته لفيكتور هوجو بقليل .

كان دالو فناناً عظيما ، ولكثير من أعماله قيمة زخرفية رائعة تجعلها من أجل مجموعات القرن السابع عشر . ولو لم تتملكه شهوة الحصول على وظيفة حكومية لكان كل ما أنتجه قطعاً خالدة ؛ ولكنه جهد ليكون لوبران جمهوريتنا ، وليكون زعيما لكل فنانينا المعاصرين . لقد مات قبل أن تتحقق أمنيته ؟

« إنه ليستحيل على المرء أن يمتهن مهنتين فى وقت واحد . فكل الجهد الذى بذله لكسب أنصار وأعوان يركن إليهم ، وفى محاولته أن يكون ذا شأن وخطر — كان كل هذا خسارة للفن . ليس أصحاب الدسائس أغراراً مغفلين ؛ فعند ما يريد الفنان مناهضتهم أو ينهز معهم بدلوهم فإن عليه أن يكيد لهم بقدر ما يكيدون ، وبذلك لا يبقى له وقت ينصرف فيه لعمله .

« ومن يدرى فلو كان دالو لزم مرسمه دواماً ومضى فى سبيل فنه هادئاً وادعاً لأنتج روائع يخطف جمالها الأبصار ، ولربما أجلسه الإعجاب العام على عرش الفن وتوجه ملكا على الفنانين — وذلك هو الذى بذل فى سبيله كل ما فى وسعه لتحقيقه ، ولكن فى غير طائل .

ومع كل ذلك لم يذهب طموحه سدى ؛ لأن نفوذه وحظوته فى الأوتيل دى فيل[1] كانا سبباً فى إخراج قطعة خالدة من أعظم قطع عصرنا الحاضر . فهو الذى مكن بوفى دى سافان من أن ينال الإذن بزخرفة جانبى السلم بمدخل الأوتيل دى فيل ، وذلك رغم مناهضة أعضاء اللجنة الإدارية مناهضة علنية وأنت تعرف بأى شعر سماوى أضاء المصور العظيم حوائط البلدية » .

وقد استرعت هذه الكلمات انتباهى إلى تمثال بوفى دى شافان Buvis de Chavannes الذى قال عنه رودان :

« لقد رفع رأسه عالياً . أما جمجمته فصلبة مستديرة وكأنما خلقت لتلبس خُوذَة . وأما صدره المقوس فيظهر كأنه اعتاد لبس الدروع . ولقد يسهل على المرء أن يتصوره فى بافيا[2] يحارب ذياداً عن شرفه إلى جانب فرنسيس الأول » .

ترى فى التمثال أرستقراطية شعب قديم . فالجبهة والحاجبان المرتفعان تدل على الفيلسوف . وتشف النظرة الهادئة التى تشمل أفقاً كبيراً بعيداً عن ذلك الزخرف العظيم والمصور الطلى[3] السامى . هذا ولا يوجد فنان معاصر يمكن له رودان من التقدير والإعجاب بقدر ما يكنه لمصور القديسة جنيفيف . ثم صاح رودان :

« أ كان هذا الرجل يعيش بيننا ويخالطنا ، أ كان هذا العبقرى الخليق بأزهى عصور الفن يتكلم معنا ! وإننى شاهدته ووضعت يدى فى يده ! ليخيل إلىّ أننى صافحت يد نيقولا بوسان ! Nicholas Poussin[4] »

(يتبع) دكتور محمد بهجت

قسم البساتين

---

(١) دار البلدية بباريس

(٢) بلدة بمقاطعة ليارديا بشمال إيطاليا .

(٣) الطلى الحسن المعجب من كل شيء كالمنظر والماء ونحوه وقد استعملت هذه الكلمة لتؤدى معنى الكلمة الانجيزية lan dscape والفرنسية paysage . فاذا أقرها اللغويون كان بها وإلا فنحن فى مسيس الحاجة إلى كلة خاصة تؤدى هذا المعنى .

(٤) مصور فرنسى عظيم ولد فى سنة ١٥٩٤ وتوفى سنة ١٦٦٥

على الشاطئ

للأستاذ مصطفى على عبد الرحمن

أى سحر يفيض من ناظريك ... حبس الفكر والفؤاد عليك
روعة تسلب العقول هداها ... فتذيب القلوب فى عينيك
ملأ الشط فتنة وحياة ... رائع اللمح من سنا وجنتيك
وأشاع الضياء والبشر نور ... من شعاع الخلود فى شفتيك
عالم أنت من فتون وسحر ... لهفات القلوب جُنَّتْ لديك
قد حسدت الرمال تحنو عليك ... وحسدت النسيم يهفو إليك
وحسدت المياه والموج يسعى ... يقبل الشط لاثماً قدميك
عبد الحسن فيك قلبى وعينى ... أحرام أن ترحمى عابديك

آه لو تصدق الأمانى يوماً ... والأمانى عصيها فى يديك

مصطفى على عبد الرحمن

الظــــلام (*)

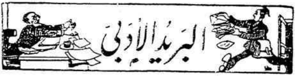
للأستاذ أحمد مخيمر

الظلام العظيم يهبط فى بطء ... ء ، ويلقى عصاه فوق الروابى
زاحفاً للوهاد كاليم ما جـــف بدفق ولا انطوى بانسكاب
الذرى فيه مغرقات تبدى ... بعد حين فى وحشة واكتئاب
كسهام إلى السموات تعلو ... وقفت فى الهواء دون السحاب
ما لها كلما نظرت إليها ... أنذرتنى برحلة واغتراب ؟
أترى لست بالغريب... ونفسى ... شردتها خطوبها فى اليباب
لم تجد فى الأنام خلاً فلاذت ... بقلال الربا ، وشم الهضاب
يا لها من حمامة ذات حسن ... هجرت عشها لوكر العقاب !
وحياتى ـ يا للأسى ! ـ فى يد الأقـــدار كنز تسوقه للتراب
إنما الموت كان أجمل لولا ... ماطوى القلب من رفيع الرغاب
أنا يقظان كالنجوم ، عميق ... كالظلام العميق، رحب الجناب
تتمشى بى السكينة كالجد ... ول زحفاً بين الغصون الرطاب
وتغنى بكل قلبـــى أشوا ... ق بلحن مزمجر صخاب
جائشات جميعها بفؤادى ... جيشة الموج واصطخاب العباب
ليس إلا الظلام تسكن فيه الـــروح مما تحس من أوصاب
فيه ترقى إلى معارج حب ... لم تنلها قبلى يد الأحباب
تكشف الحسن والحقيقة والغيـــب وتسرى وحيدة فى الشعاب
وتلبى النــــداء تحمله الريـــح ، لناى الرعاة بين الغاب
جلسوا القرفصاء حول لهيب الـــنار يشدون فى حنين عجاب
ويبثون للظلام أقاصيـ ... ـص ، طوتها سريرة الأحقاب
وحفيف الظلام والريح والغا ... ب رهيب ينساب أى انسياب
يترك الجالسين فى شبه حلم ... وحنين خاف إلى الغياب
ويطيل السكون فيهم إلى النا ... ر ورقص اللهيب رقص السراب
يقلبون اللظى بعود ، وفيهم ... تقلب الروح ذكريات الشباب
والقطيع الوديع يمضغ فى النا ... ب ندياً من ناضر الأعشاب
مصغياً للرعاة.. ذهلان ، تبدو ... فى محياه نشوة التطراب
ساهماً كالغريق فى ذكر المر ... عى مطلا فى هدأة واكتئاب
ناظراً فى الظلام للأفق النا ... ئى وللكلب فى طريق الذئاب

إيه يا ليل لو دعيت نجائى ... حين يسرى ولو رثيت لما بى
أنا فى هـــذه الحياة غريب ... ووحيد الأشواق بين الصحاب
غربة ما يزال دمعى منها ... فى جفونى مرقرقاً لانسراب
وأمانى فى الضلوع صبيا ... ت إلى الورد عاريات الإهاب
خافقات وما خفقن بريب ... هاتفات وما هتفن بعاب
دائرات يلهبن من طول ما ذقـــن من الشوق لانسكاب الشراب
بذراعين خشنتين سأصـــعد للنبع فى الصخور الصلاب
إنما النبع فى القلال فمن يبـــغ يجده وراء ألف حجاب
ثم يخطو إليـــه ألف سبيل ... حين يخطو محفوفة بالصعاب
إيه يا ليـــل كل شر سرى فيـــك مطل بعينه لاقترابى
قد حملت الأجيال يا ليل فاحمل ... هتفات الأجيال فى محرابى
وافتح اليوم شاطئيك لقلبى ... إن كل الحياة بين ثيابى ... !

أحمد مخيمر

(*) هذا هو النشيد العاشر من كتاب « أحلام نبى » المعد للطبع وهو قصة فى أناشيد متسلسلة وضعت على لسان نبى من الأنبياء .



من وحى المرأة

أخى صدق ...

... إنك لتعلم رأيى فى دموعك هذه التى نظمتها قصائد . تعلمه من هذه الانفعالات التى كنت أحاول أن أخفيها عنك فتظهر، وأنت تسمعنى هذه القصائد قبل نشرها فأسمع ، وأنا أحس أنك تعيش فى أثناء قراءتها وتتألم !

ولقد كنت أستزيدك منها كلما هممت أن تطوى أوراقك الحبيبة فى صدرك ، وأنت تضمها إليك ضمة الحب والأسى ، ربما تردد عيناك دمعة ندت ، فلم تشأ أن تطلقها على سجيتها ، لأننا لسنا وحيدين ، بل حولنا الناس فى المقهى أو فى الطريق !

كنت أشفق عليك أن تقرأها ، وكنت أستزيدك من قراءتها ... لأنى أعلم — وقد جربت من قبل تجربة شبيهة بتجربتك فى الأم الصديقة — أن هذا الألم النبيل الكريم الذى تحسه وأنت تستعيد هذه الصور العزيزة ، هو ألم كذلك عزيز مريح !

والألم النبيل الكريم يا صديق نادر فى هذه الدنيا الحافلة بشتى الآلام ! وما أحوج الإنسانية إلى مثل هذا الألم بين الحين والحين ، يطهرها وينقيها ، ويرفعها من ثقلة الأرض ، ويطلقها ترفرف فى السماء

ولكن الذين يعرفون مثل هذا الألم ويقدرونه نادرون مثله فى هذا الوجود . وأنت الذى تقول فى صدق مفجع حزين :

كأنىَ بالأحزان غيّرنَ طابعى ... وأن بوجهى ما تُجن أضالعى
ظلال جحيم من دخان ولاعج ... وأشباح تعذيب دوامٍ دوامع
وإلا فما للناس يجتنبوننى ... وقد كنت منشوداً بتلك المجامع؟
وإنى لألقاهم كعهدى مرحباً ... وأبسط كفى فى سلام مسارع!
أفرّج ما بين الشفاه تبسما ! ... وأدعو أساريرى وأجلو مطالعى!
وأضحك أحياناً وأظهر ناجدى ! ... وآخذ فى أسمار غِرّ وخالع !
فما لهم لا يطمئنون ؟ ما لهم ؟ ... وضحكى عالٍ مُسمِع ذو قعاقع

ابشرِىَ غير البشر فى عين ناظر !
أضحكِىَ غير الضحك فى سمع سامع ؟
أجل صدقوا ، مذ مُتّ يا سرّ فرحتى
طُبعتُ كتمثالٍ على الحزن فاجع

أجل يا صديق ، لأن الناس فى هذا الزمان يريدون أن يضحكوا دائماً ، ويا ليتهم يعرفون كيف يضحكون !

أما أنا فلست بناصح لك أيها الصديق — كما لم أنصح لك فى فورة الألم — أن تسلى . فما أرخص السلوى فى الحياة ، وما أعز الألم الصادق النبيل ؟ وما أفدح الخسارة حين نمسى ونصبح ، فإذا أيدينا خالية من هذا الألم الذى يربطنا بأعز أحبابنا ، ويصلنا بذلك الماضى الذى لن يعود

وإننى لأقرأ ثم أقرأ فى احترام بالغ قصيدتك « تساؤل » :

أتغلبنى هــــذى الحياة على حزنى
فأصبح مثلوج الحشى ضاحك السن ؟
أيأتى زمان تخطرين بخاطرى ... فلا يسبق الدمع الهتون إلى عينى؟
أيجرى لسانى باسمك الحلو صادحاً ... مبيناً فلا يومى إليه ولا يكنى؟
وقد كان فى حلق يجف ويلتوى
ويهمس مبحوح الصدى مجهش اللحن !
أيحلو لطرفى أن يطالع صــــورة
لحسنك من بعد الفجيعة فى الحسن ؟
وقد كنت أخفيها وكانت بناظرى
إذا عرضوا عفوا — كغاشية الدجن
أيخلو مكان من خيالك ماثلا
بكل مكان — أينما سرتُ — أو ركن ؟
ويطغى على نفسى شــــعور وفكرة
ولم تشركينى فى شعورى وفى ظنى ؟
ويشغلنى شىء ولو بعض ساعة ... فلا أنت فى قلبى ولا أنت فى ذهنى؟
نشدت زماناً يورث الناس سلوة ... ليكفينى برد السلو ويستأنى
بديلى منك الحزن لم يبق غيره ... فلا حبذا السلوان غبناً على غبن
وإنى لأستحييك إن غب مدمعى ... وأحزن يوماً إن غلبت على حزنى

إنك لغنى يا صديقى بهذا الكنز من الألم الرفيع النبيل ، فكن أميناً عليه ، فمثله نادر فى هذا الوجود !

سيد قطب

كلمة هادئة - إسكان أواخر الكلمات

ألم ابن خلدون فى مقدمته الشاملة إلى اقتراح إسكان أواخر الكلمات تخلصاً من حركات الإعراب فقال : (ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربى لهذا العهد — عهد ابن خلدون — واستقرينا أحكامه نعتاض من الحركات الإعرابية فى دلالتها بأمور أخرى) . وقال أيضاً : (ولم يفقد منها — أى من لغة مصر مقارنة بلغة

عهد ابن خلدون — إلا دلالة الحركات على تعين الفاعل من المفعول فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن) . ومن الملاحظ أنه لم يشرح شيئاً من « الأمور الأخرى » في قوله الأول ولا شيئاً من « القرائن » في قوله الثاني بحيث لا يمكننا أن نستنبط منهما وسيلة تنفيذية إلا التقديم والتأخير أي تقديم الفاعل وتأخير المفعول مثلا للتمييز بينهما وأظن أنها وسيلة غير كافية لأن اللغة ليست قاصرة على حالتي الفاعلية والمفعولية وليست قاصرة على حركتي الرفع والنصب وليس حتماً أن تشتمل الجملة على اسمين اثنين لا غير

مع هذا لا يزال ينادي بهذا الاقتراح الطريف باحثون معاصرون يرون في اللغات الأوروبية المسكنة الأواخر برهاناً تطبيقياً نافذاً .

والذي يخيل إلى أنهم لم يبحثوا الموضوع على الأقل من الناحية الشكلية التي يبدو فيها خلاف كبير بين اللغة العربية واللغات الأوروبية يستعصى معه إتباع هذا الاقتراح .

فأولا : صلب اللفظ العربي يحتاج إلى ضبط كامل لا يفيد معه إسكان الآخر لأنه يتكون من حروف ظاهرة في الكتابة وحروف أخرى تظهر في النطق . ولا زلت أذكر قصة لأحد الظرفاء إذ شاهد مع بعض ضيوفه من الريف حيواناً عجيباً في حديقة الحيوان فسألوه ما هذا ؟ فحار في قراءة كلمة (الببر) على قفصه لا لجهله بحركة آخرها طبعاً بل لجهله بحركات سائر الحروف .

وثانياً : استقلال اللفظ . فنجد أن اللفظ في اللغة الأوروبية منفصل قائم بذاته في كل معانيه بينما هو في العربية خاضع لغيره أو متصل به . فنحن نقول : كتابهما — كتابهم — كتابهن... فأين الحرف الذي يسكن ؟ الأخير أصلا أم الأخير رسماً ؟ اللفظ الأصيل ! كتاب وآخره الباء حيثما أسند إلى غيره تغير آخره بالاندماج فيه . بينما الإنجليز مثلا يقولون : Their book لهذه الحالات الثلاث . ولست بصدد القول بأن أساليب التعبير عندنا أدق وأوفى وهذا ربح لا يهون بجانب تسهيل النطق عندهم .

وثالثاً : حركة الآخر ليست خاضعة لاتصال اللفظ بغيره اتصالا مباشراً فحسب بل أيضاً تخضع للاتصال غير المباشر بالألفاظ المجاورة . فإسكان الأواخر يكثر من « التقاء الساكنين » أو تعذر النطق لتعاقب حركتين.. فإذا تعمدنا الوقوف عند كل كلمة قطعنا في النطق تقطيعاً مضحكا مرهقاً وإذا استرسلنا بغير ضوابط خرجنا على القاعدة خروجاً همجياً ، وإذا اعتمدنا على التقديم والتأخير أخفقنا في الجمل المتشابهة الكلمات والجمل التي تتكرر فيها كلمات معينة .

ورابعاً : كثير من الألفاظ ساكن ما قبل الآخر . فإسكان الآخر أيضاً ثقيل جداً . وهو بالغ الثقل عند ما نصل مثل هذه الألفاظ بألفاظ ساكنة الأول أو طيعة الأول على الأصح .

وخامساً : بعض الألفاظ مبني على حركة تدل دون غيرها على معنى خاص . مثل : أنتَ — أنتِ فإسكان (أنت) يحرمنا من فهم المعنى إلا بالسياق والإطناب حيث يغني الإيجاز .

إلى غير ذلك من الأحوال الخاصة بطبيعة لغتنا وحدها .

والعجيب أن اللغات التي تلائم طبيعتها قاعدة إسكان الآخر قد تجنح إلى أدوات شاذة لتعذر إطرادها . مثل إقحام حروف غريبة لا تمت إلى الأصول والأصلاب بصلة ما كالحرف T في il — T — ya أي : (هل هناك...؟) والجواب : il ya بلا وجود الحرف T الذي وجد لتحاشي التعقيد بالتخلص من تعاقب a ، i . ولا أعرف لذلك ضريباً إلا في لغة بعض قبائل النوبيين فهم يقولون مثلا : (إتِّرْكِ اكِّري) (إتر : طعام — اكري : هات — الكاف : زائدة لهذا الغرض . وللنوبيين عذرهم في لغة لا تكتب ولا تطرد لها قواعد مدونة .

وعلى العموم فإن إسكان الآخر عامل من عوامل إضعاف اللغات . حتى الأوروبية بدليل الاختلاف بين سماعها وقراءتها إلى حدما . فمعظم حروف الآخر فيها صامتة مثل : père — beaux وسيؤدي ذلك مستقبلا إلى ضمورها كما أدى تمهيداً إلى انقطاع الصلة بين المكتوب والمنطوق . لذلك يلتزم بعض الفقهاء في فن القراءات ضرورة الاتكاء على الحرف الأخير في حالة السكون بالقلقلة والغن والتنوين حتى لا يعتريه ضمور أو إبهام أو إضغام .

وهب أننا سنهتدي إلى قواعد للغة المقترحة فلا بد من بذل مجهود ضخم في تعليم العامي أن كلمة (مستأبل) خطأ وأن صوابها (مستقبل) بإسكان الآخر وأنها تقدم في حالة الرفع وتؤخر في النصب . بمثل هذا المجهود تقريباً يمكن تعليمه أن الصواب (مستقبلٌ) ، (مستقبلا) . والفرق بين المجهودين بسيط لأن القواعد التي تسري على كلمة واحدة تسري على أشباهها جميعاً .

وليس الإعراب بهذه الوعورة التي تنتهي بنا إلى القنوط . والذين لا تحتمل عقولهم بعض القيود المادية كالإعراب لا يرجى أن تحتمل آراء وعلوماً وفنوناً .

عبد الفتاح البارودي



ابن . . .

للأستاذ لبيب السعيد

كان ذلك فى مطالع شبابى غب تخرجى فى مدرسة التجارة ، حين آثر أبى أن ينشىء لى متجراً ، وكان هو وجدى وقتئذ يرعيان تجارتى الناشئة ، ويقضيان معى الساعات ، يوجهان العمال ، ويشاركان فى استقبال الحرفاء ، وينيران لى فى كل مناسبة طريقى الجديدة . وكنت يومئذ شديد الرغبة فى النجاح ، فكنت أستدفع الضجر ، وأطامن من اعتزازى بآرائى ، وأتقبل توجيهات أبى وجدى راجياً أن أتنور على هديهما مقصدى

وكان أبى لا ينفك يوصينى بألا أبيع بالنسيئة أبداً ، ويقول لى : يا بنى ! خير لك أن تبقى بضاعتك أمام عينك من أن تعطيها الناس ثم تظل فى انتظار ثمنها يدفع أو لا يدفع . وكنت أعرف ما جرته النسيئة على أبى من متاعب ، فبدا لى أن أتخذ وصاته مبدأ أساسياً لمتجرى لا أنحرف عنه

ووقفت عصر يوم بجانب مكتبى النصف دائرى ، وأنا جذلان بنظام محلى ووفرة محتوياته وببشائر النجاح بادية فى إقبال الحرفاء ورضاهم ... وقفت أقبض أثمان المبيعات ، وأوجه للعمال أمراً بعد أمر ، وأنطلق بين لحظة وأخرى مع مرسلات الأمانى . وفيما أنا كذلك ، إذ أقبل علىّ شيخ حطمه الشلل يتحامل على عصا غليظة ، وعليه ملابس بلدية موشكة على البلى وإن تكن فاخرة الصنف ، وفى صحبته طفل فى نحو الخامسة يلبس جلباباً قصيراً خفيفاً ، ويحمل وجهه سمات حزن لا يكون فى أمثاله

وقال الشيخ فى لهجة عزيزة ومنكسرة معاً : « أعطنى يابنى عشر أقات دقيقاً » ، فهتفت حالا بالعامل القريب : « زِنْ لحضرته ما يطلب وخذ منه ثلاثين قرشاً » ؛ وأجاب الرجل وهو يتكلف الابتسام : « بل يزن المطلوب ويكتب علىّ ثمنه » ، فما أسرع ما اندفعت قائلا فى تصميم قاطع : « مستحيل هذا » ؛ وابتسم الرجل ابتسامة واهنة ، وقال وهو يتلفت كأنه يتحرى ألا يسمعه أحد : « بل ليس مستحيلا ، ولا تمنع عمك أحمد الناجى ما يطلب ، لا ضامتك الأيام » ، ولكنى نظرت إليه نظرة لا رفق فيها ، وقلت كأنى أستعجله مغادرة المتجر : « مستحيل جداً يا عمى ، وبالله دعنا فى شغلنا »

ونظر الشيخ إلىّ ثم إلى طفله نظرات المغضب المغلوب المتحسر فكدت لفرط ما تأثرت بهذه النظرات أستجيب لطلبته لولا أن ذكرت أن الأمر أمر مبدأ ، وإنى إن بذرت اليوم للنسيئة حبة فسأبذر غيرها غداً ، وإذن فسأجنى الثمرة المرة التى جناها أبى ، والتى حذرنى منها تحذيرا . واستدار الرجل فى صعوبة وهو يتكىء ببدنه كله على عصاه ، وجر رجليه جراً إلى الطريق ، ومعه طفله الذى كان يحكى هزاله وحقارة ملبسه حكاية البؤس مؤثرة وجيعة

ونزل جدى فى هذا الوقت من عربته يصلح وضع مطرفه ، ويلقى السلام على جيران المحل ، وما بصر بالشيخ حتى وقف يصافحه بحرارة مبادلا إياه تحيات أيدتهما لى كشقيقين على صفاء ومحبة ، وأسرعت فقدمت لجدى كرسياً ، ولكنه قدمه إلى الشيخ فى اهتمام وهو يقول : « أيها الأخ ! إنى سائل عنك ، قلبى معك » ونادى صبياً يعمل فى المتجر أن يحضر قهوة للشيخ . وإذ رأيت عواطف جدى نحو الشيخ تولانى خجل شديد لما فعلت معه ، ولكن تولانى أيضاً خوف من أن أورط فى هذه العشر الأقات

وتحدث جدى مع الشيخ لحظات فى صوت خفيض ، فما لبث جدى أن صاح بى فى لهجة ناهرة : « أهكذا يا محمد تفعل مع الشيخ ؟ ! زِنْ له عشرين أقة » وصدعت بالأمر كارهاً !

أمر جدى أحد العمال بنقل الدقيق إلى بيت الشيخ الذى علا البشر صفحته ، والذى قال وهو قائم يخطو إلى الشارع : « أكتب عندك ستين قرشاً على أحمد الناجى » ؛ وانطلق متحاملا على نفسه وأنا أتبعه بنظراتى غضبان أسفاً لكسر مبدئى التجارى ، وأهمس لعامل قريب معرضاً بجدى : « شيوخ طيبون ، يصدقون كل شىء ، ويدخل الاحتيال عليهم »

وقعد جدى يردد أدعية بالستر الجميل له ولذريته ، ثم قال مسمعاً إياى والأسف ظاهر فى وجهه : « إنها الدنيا ! الشيخ أحمد الناجى تعوزه أقات من الدقيق ! الشيخ الناجى الذى كان يتصدق بالقمح أرادب ! قضاء الله ! ضاعت أمواله الضخمة ، وأصابه الكبر والشلل ، وتخطف الموت امرأته وهو أحوج ما يكون إليها ، وله كما رأيت طفل ضعيف تعوزه التربية ! »

وجعل جدى يحرك قبضة عصاه فى شبه حركة عصبية ، وهو يبدئ ويعيد فى الحديث عن صديقه الشيخ مظهراً غضبه منى إذ لم

أسارع إلى تنفيس ضائقته ، ولم أقدم إليه من الاحترام ما هو كفاء منزلته وعراقته

وجاءني أبي مساء ، فحدثته بالذى كان ، وكأنما كنت أريد أن أقول له : أنظر ما ذا فعل أبوك ! فكان يضحك لهجتى ، ولكن وجهه كان ينم عن تأثره لمأساة الشيخ الناجى ، ومضى يحكيها لى مفصلة وهو يحوقل ويسترجع ، على أنه ما لبث أن قالها بينة صريحة : « ومع ذلك فلا تعط أحداً بعدها شيئاً بالنسيئة »

ومرت أيام ، فجاء الشيخ الناجى بوجه فيه الأسى ، وكعهدى به اتخذ من عصاه رجلا بعد رجل ، وتكلف لى ابتسامة جاءت خجلى منكمشة وقال : لا تضق بى يا بنى ، إن لى إليك رجاء يسيراً ... أتأذن بقرش حلاوة لهذا الصغير ؟ (مشيراً إلى ولده).

وعض الحزن على قلبى للطفل الشاخص ببصره إلى الحلاوة ، واستحيت لكرامة جدى ، فأسرعت بنفسى وقدمت إلى الطفل قطعة من الحلاوة ، ثم التفت إلى الشيخ أسأله مجاملا : ثم ماذا ؟ فأجاب : « لا شىء ، جعلك الله من السعداء »

وجلس على كرسى وأمارات التعب الساغب عليه ، واحتضن ولده فى حنان وأسف وهو يقول له بنبرة حزينة : يابنى المسكين ! تأكل مما يقترض أبوك ؟ !

وسمعت عاملين يتهامسان بما ينقض عوز الشيخ ، وبأنه يقول ما يقول ليسرق عطفى ، وليننى عنى كل شك ، فهمت نفسى بتصديقهما لولا أن ذكرت تفاصيل ما قصه على أبى وجدى

ومضى الشيخ يجر جسمه وطفله . وانقضت أشهر وأنا لا أراه حتى كان يوم وردت فيه جنازة إلى المسجد القريب من المتجر ليصلى عليها ، ووقف المشيعون ينتظرونها عن كثب من المحل ؛ وقال قائل : يرحم الله الشيخ أحمد الناجى ! وقال آخر : ياما أحرز ! فقال ثالث : ويا ما أضاع !

وسعى أمامى الركب الذى لا يعود صاحبه ، وأنا أتمتم فى غير اكتراث كبير : « الله يرحمه ... ويعوض على ما فى ذمته ! »

وغبرت سبع سنين ورد فيها جدى حياض المنون ، ولم يفسح بعده لأبى فى رحاب العمر ، بل عاجله الأجل الصارم ، وتحلبت على أموالنا أشداق الطامعين من الأقارب والأباعد ، حتى ليخيل إلىّ أن لو كنا نؤكل ما عفوا ولا شبعوا .

وكنت رشيد إخوتى فألقيت على كتفى أثقال الأسرة . وكان أفدح هذه الأثقال أن أسترد ما لأبى وأقضى ما عليه . لقد كان أبى يكره أن يستدين أو يدين ؛ ولكن التجارة أركبته برغمه هذا المركب

واتصلت بالمدينين فهالنى الأمر . هذا مُعدِمٌ يقول : كان بودى ... ؛ وهذا منكر يقول : أمامك المحاكم ... ؛ وهذا مخاتل كتب أملاكه لزوجه فراراً من العدل . فأما الموسر ذو التقوى فيريد أن يدفع المائة الجنيه عشرين . فأما الدائنون ، فقد حسروا لنا اللثام عن بطش وكيد . فإنذاراتهم ما تنفد وعنتهم ما ينتهى .

ودخلت المحاكم فكم أموال أنا فى حاجة إليها أخذتها منى ، وكم قال لى المحامون : هات .

وأدركنى اليأس من طهارة الذمم ، وروعنى خراب الضمائر ، وثقلت علىّ وطأة الحياة ، وأصبحت لا أتبين فى غمرات المظالم طريقاً

وقعدت يوماً فى متجرى أرسل فكرى فى ظلمات الأحداث المحدقة ، وأنى متوجعاً على المحيط الذى أنا فيه خلوه من رجل يستوحى الضمير ويقدر الشرف ، وأدير عينى فى مكان أبى وجدى فلا أراهما ، وغشينى همّ أذهلنى عما حولى فترة ، فما نبهنى غير صوت غلام فى نحو الثانية عشرة يلبس جلباباً قذراً وطاقية رخيصة ويحمل علبة صفيح صدئة يقول لى وهو يمد يده إلى بالعلبة : ياعمى محمد ! خذ حقك واحداً وستين قرشاً . قلت مستغرباً : أى حق يابنى ؟ قال : حقك ... ثمن الدقيق الذى اشتراه أبى أحمد الناجى ، وثمن الحلاوة الطحينية التى أعطيتنيها .

وغمرتنى الدهشة ، فقد طوى النسيان مصاحبه منذ سنين على احمد الناجى ، ولكنى سرعان ما ذكرته . ذكرت لهجته ، وذكرت فقره ، وذكرت جدى وأبى وما قالا فى شأنه وما فعلا ، وذكرت الدقيق والحلاوة ، وذكرت قوله لابنه وهو يحتضنه فى حنان وأسف : يا بنى المسكين ... تأكل مما يقترض أبوك .

ذكرت هذا كله ، وتفكرت فيما أرى من الغلام ، فهزنى هذا التصرف الكبير منه ، وكأنى أمام حادثة من خيال الشعراء ، وقلت جاداً : خل هذا المبلغ لك يا بنى ؛ فأجاب فى تمرد وقد اربد وجهه : أتريد أن يدخل أبى النار ؟ ... لقد قال لى وهو فى أشد التعب قبل أن تصرخ عمتى بأنه مات بوقت قصير ، قال لى : يا علىّ ! إذا أراد الله لك أن تشب وتجتاز السنين وتكسب شيئاً فلا تنس أن تسدد ثمن الدقيق والحلاوة . وما دمت كبرت واشتغلت فى مصنع السجاد بخمسة قروش فى اليوم فلا بد أن أقضى دين أبى ليدخل الجنة ...

وأشرق وجه الغلام وهو يضع النقود على مكتبى فى عزم وإصرار ، وابتسم ثغره ثم مضى فى قوة شامخة .

لبيب السعيد

الكتب

الترجمة وأثرها في النهضة الفكرية

[تصدير معالى الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا لكتاب « المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية » ترجمة الأستاذ محمد يوسف موسى ، وسيظهر هذا الأسبوع]

لقد كانت الترجمة — وما تزال — دعامة من دعائم النهضات الفكرية والثقافية للشعوب ، وبالترجمة بدأت النهضة الثقافية فى عصور الإسلام الأولى ؛ إذ أدرك الخلفاء المسلمون حاجة الأمم إلى استتمام غذائها الفكرى من كل سبيل ، فتدفقت إلى النهر العربى وديان من مختلف الثقافات العالمية ، وظهر من بينها هذا اللون العربى الإسلامى على خير ما يكون الاستواء .

وعند ما نهضت أوربا من سباتها ، ونفضت الكرى عن عيونها ، رأت أن أقوم وسيلة لانتعاشها أن تنحو نحو الترجمة ، فاندفع الناقلون يترجمون أمهات الكتب اللاتينية واليونانية ، وتناولت أيديهم وأقلامهم كذلك أصول الكتب العربية التى عملت على ازدهار الثقافة الأوربية الحديثة .

وحين أسفر فجر هذه النهضة المصرية ، وأدرك رجل مصر الحديثة رأس الأسرة المالكة محمد على باشا ، ما للترجمة من أثر فعال فى إنعاش البلاد وإحيائها ، هداه نظره الثاقب إلى إرسال البعوث العلمية إلى أوربا ، لنقل معارف الأوربيين وثقافتهم إلى مصر باللغة العربية ، فأرسل ثلاثة بعوث علمية فى أزمنة مختلفة ، كونت ثلاث طبقات من العلماء والأطباء والضباط والمهندسين ، فنقلوا إلى العربية مئات من الكتب فى العلوم والمعارف المختلفة . ولقد كان لذلك — بلا ريب — أثره الملموس فى اللغة العربية والثقافة العربية .

ومما هو قمين بالذكر أن كل المدد الذى استمده محمد على باشا لتلك البعوث لم يكن إلا من الأزهر ، تلك الجامعة التى نشرت النور والمعرفة فى أرجاء العالم الشرقى . وكان من أظهر هؤلاء الأزهريين وأبعدهم صوتاً ، المرحوم رفاعة بك الطهطاوى ، الذى عهد إليه برياسة الطلبة المبعوثين إلى باريس ، فقام بهذه المهمة خير قيام ؛ واتصل فى فرنسا برجلين عظيمين هما المسيو جومار[1] والبارون ده ساسى[2] ، فأفاد من صحبتهما خيراً كثيراً ، واستقدمه محمد على إلى مصر فى سنة ١٢٤٦ هـ وعينه مترجماً فى مدرسة طرة ؛ ثم وكل إليه إدارة مدرسة الألسن ووضع نظام لها ؛ وكان لتلك المدرسة فضل فى نبوغ جماعة من فحول المترجمين .

وكان المرحوم رفاعة بك بطبعه ميالاً إلى الترجمة ، فعرب مدة إقامته بباريس وبعد رجوعه منها كثيراً من الكتب والرسائل ؛ منها تعريب قانون التجارة ، وتعريب القانون المدنى الفرنسى ، ورسالة المعادن ، والمنطق وهو ترجمة لكتاب دومرسيه ، وهندسة سانسير ، وغيرها ، حتى ليقال إنه ترجم بنفسه وبإشرافه ما يربو على سبعمائة كتاب .

على أن هذه النهضة التعريبية التى كان زعيمها رفاعة بك ، سرعان ما سلط على دوحتها أعاصير من جو السياسة عبثت بأصولها ، وأصابتها بما أوقف نموها واطرادها ، وهى بين الفينة والأخرى ما تزال بين النماء والذبول ، إلى أن استقر أمرها فى وقتنا الحاضر بما نرجو له دوام الإطراد والتقدم والتحرر ، بفضل جهود العاملين على رفع مستوى الثقافة من رجال العلم ورجال الحكم .

لقد خطر لى أن أتحدث عن رفاعة بك هذا الحديث الذى أسجل به فضله وسبقه ، عند ما أردت أن أقدم هذا السفر النفيس الذى وضعه المستشرق الفرنسى الأستاذ جوتييه ، وقام بترجمته الأستاذ الشيخ محمد يوسف موسى . لقد سرنى أن يصل هذا الأستاذ الأزهرى ما بين ماضى رجال الأزهر وحاضرهم فى تعريب الثقافات الأوربية التى نحن فى أشد الحاجة إليها وإلى من يحسن نقلها ، وأعجبنى أن ينهض الأستاذ بإكمال ما بدأ به رفاعة بك . وعسى أن يكون فيما أدرك من نجاح وتوفيق فى تعريب هذا الكتاب حافز له ولأمثاله من نابهى رجال الأزهر ، على إتمام تلك السلسلة

(١) Jomard (٢) Sylvestre de Saçy

من رسالة إلى صديق

ساعات بين الكتب

[للاستاذ العقاد]

للأستاذ حسين الغنام

عندما زرت أخى الأستاذ الأديب محمد محمد يوسف وهو مريض ، لم يمنعه مرضه أن يسألنى عن الكتب الجديدة ما ظهر منها وما قرأته ، فلما آنست فيه قدرة على القراءة بعد مرضه ارسلت إليه كتاب العقاد مع رسالة جاء فيها عن هذا الكتاب الجديد مايلى : —

تذكر يا أخى الدراسة المطولة التى كتبتها عن رسالة العقاد « مجمع الأحياء » ، عند ما قرأتها لك ، وتذكر الجزء الذى نشرته منها فى مجلة « الرسالة » وقلت فيه : « كان فرحى بظهور هذا الكتاب فرحاً عظيما ، لأن إعادة طبعه كانت رغبة ، بل أمنية ، اشتهيتها منذ بضعة عشر عاماً ، وظهوره فى طبعته الثالثة يسد نقصاً فى المكتبة المصرية »

وهذه الأمنية وهذا الكلام ينطبقان على كتاب العقاد الجديد وهو الجزء الثانى من « ساعات بين الكتب » ، حتى لقد هممت — كما تعلم — مرات عديدة أن أكتب إلى العقاد ليجمع تلك المقالات وينشرها فى كتاب ، فى زمن كادت تنعدم المقالة فيه ، إلا بعض مقالات العقاد نفسه ، والزيات ، وطه حسين ، وآخرين قليلين

والذى طالع الجزء الأول من كتاب العقاد « ساعات بين الكتب » ، طالع فيه جديداً ، ولا شك فى الأدب العربى ، حتى أن الكثيرين من الكتاب أخذوا يقلدونه ، ولكنهم عادوا فانصرفوا عنه يائسين !

وهذه الدراسات التى جمعها العقاد مما نشر فى البلاغ الأسبوعى والضياء ، والدستور ، وطبعها فى كتاب ، فصارت أشبه بالجامعة التى تفرقت كلياتها ثم اجتمعت فى بقعة واحدة !

وفى الحق أن مقالات العقاد ، أو كتبه ، هى مدارس أو كليات قائمة بذاتها ، ففى كل مقالة منها ، وفى كل رأى له ، درس جديد …

وكتابة العقاد تمتاز بميزات كثيرة ، أولها :

١ — الثقافات الواسعة المهضومة على تعددها ، مع استقلال الرأى

٢ — التركيز والإلمام بالموضوع من أطرافه

٣ — نفاذ البصيرة وإشاعات الذكاء العبقرى

٤ — قوة التركيب ومتانة الأسلوب وحلاوته

هذه هى الخصائص الأولى فى كتابات العقاد ، وهذا مايطالع القارئ فى هذا الكتاب ، وهذا ما سوف يطالعك عند قراءته !

***

وإذا كان لى أمنية أخرى ، فهى طبع المقالات العديدة المتفرقة للعقاد ، فى الرسالة وغيرها من المجلات ، ثم تدريس هذه المقالات المستقلة لطلبة الجامعتين المصريتين ، فإن فيها فناً أدبياً قائماً بذاته ، ولا نظن أحداً يستطيع أن يجارى العقاد فيه …

التى صاغ حلقتها الأولى سلفهم الكريم .

إنى إذ أهنئ الأستاذ بإخراج هذا الكتاب فى ثوب عربى فائق ، لأهنئه أيضاً بحسن اختياره للموضوع ؛ إذ أن كتاب الأستاذ جوتييه هذا يعد من الكتب ذوات الخطر فى دراسة الفلسفة الإسلامية .

ولقد كان من حسن حظ هذا الكتاب أن يجد من أبناء العربية رجلا فاضلا مثل الأستاذ المعرب ، له من الإلمام الواسع بالعلوم الفلسفية ما مكنه من أن يحسن عمله ، فيستحق منا ومن قراء العربية شكراً موفوراً .